كتاب في جريدة

أصدرته منظمة اليونسكو عام ١٩٩٦

عدد ٦٧ الأربعاء ٣ آذار/مارس ٢٠٠٤ م

مختارات شعرية

عبد الله البردوني

رسوم سبهان آدم





الشريك الثقافي



المؤسسة الراعية

بيان صحفي

توقيع إتفاقية تعاون بين اليونسكو ومؤسسة محمد بن عيسى الجابر الخيرية

وقّع في يوم الجمعة ١٩ سبتمبر ٢٠٠٣ م في مقر اليونسكو بباريس المدير العام لليونسكو المستر كويشيرو ماتسوورا وسعادة الشيخ محمد بن عيسى الجابر رئيس مجلس إدارة مجموعة إم بي أي العالمية MBI INTERNATIONAL ومؤسس إم بي أي MBI FOUNDATION ومعهد لندن للشرق الأوسط LONDON MIDDLE EAST INSTITUTE، إتفاقية تعاون مشتركة بين اليونسكو و MBI FOUNDATION وذلك في مجالات التعليم والثقافة.

تضع الإتفاقية أولى إهتماتها على تطوير وتحديث النظام التعليمي في الشرق الأوسط وما يمكن القيام به لترقية وتشجيع ثقافة السلام والديمقراطية، بجانب مشروع إدخال الحرف العربي في الإنترنت ومشروع "كتاب في جريدة" وقد بدأ تنفيذه بالفعل.

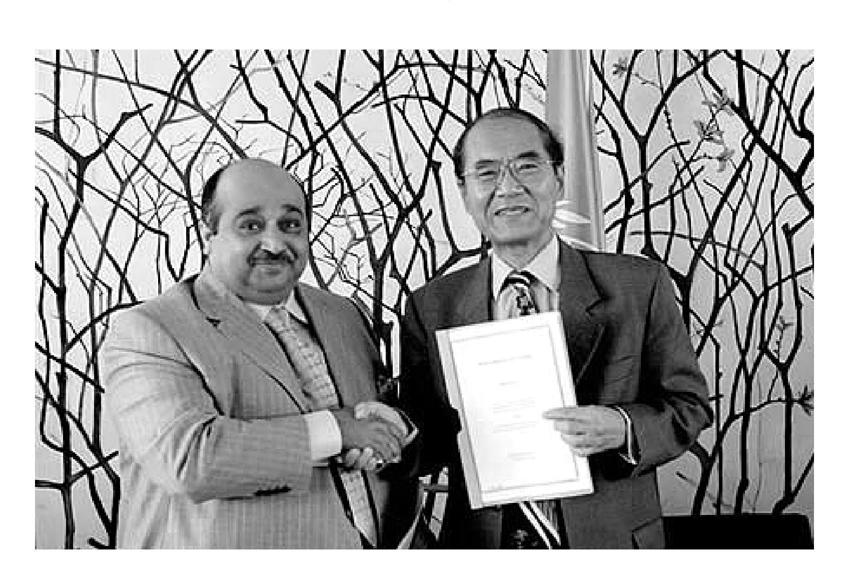
حضر حفل التوقيع مساعدو المدير العام ومدراء الإدارات باليونسكو وأصحاب السعادة سفراء الدول العربية المعتمدون لدى اليونسكو، منهم : موسى بن جعفر حسن سفير سلطنة عمان، فدا العادل سفير المملكة العربية السعودية، و فواز غرايبة عضو المجلس التنفيذي عن الأردن، أحمد عبد الرازق ممثل فلسطين و عبد الوهاب بو هديبا رئيس الأكاديمية العلمية وممثل تونس في المجلس التنفيذي، ومحمد النجار سفير المغرب ومندوبة الأليكسوا، لدى اليونسكو، وسفير الكويت.

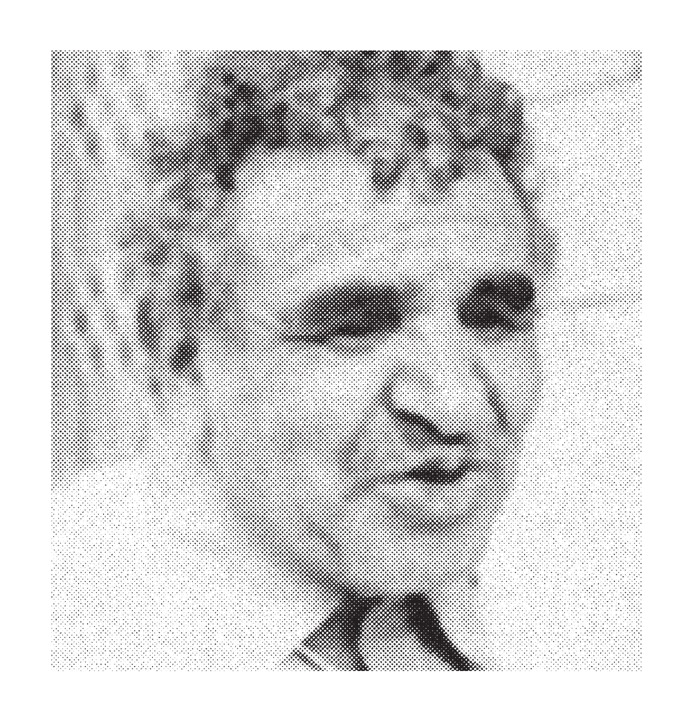
عقب توقيع الإتفاقية ألقى السيد المدير العام لليونسكو كلمة حيًا فيها جهود محمد الجابر المقدّرة مبدياً سروره وترحيبه بالإتفاق الذي وقّع كما أثنى على مبادرته الرائدة، مما يؤكد الثقة في منظمة اليونسكو ويدعم برامجها لإنجاز المهام الملقاة على عاتقها.

أعطيت الفرصة للسادة السفراء الذين تباروا في الإشادة بتلك المبادرة والتي أجمع المتحدثون على أنها أول مشروع عالمي يأخذ عربي ذمام المبادرة فيه مما سيعود نفعه على المنطقة والعالم بأسره.

وكان محمد الجابر قد اقترح على اليونسكو – في كلمته التي ألقاها في المناسبة – إنشاء "**مجلس حكماء**" من خبراء التربية والتعليم العرب يضم **المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة**، لوضع إستراتيجية للتعليم تهدف للمساعدة في بناء مجتمع مدني متطور في المنطقة. وإختتم الجابر كلمته "كان إيماني دائماً أن الأمن والإستقرار في منطقة الشرق الأوسط مرتبطان إرتباطاً وثيقاً بالثقافة والتعليم اللذين يعتبران شرطاً أساساً لقيام ديمقراطية فاعلة ..ولعل دور اليونسكو في السلام والأمن والإستقرارالذي يقوم على إحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية ينسجم تماماً مع توجهاتي وما أسعى إليه وأتوق لتحقيقه".

هذا وقد ظلّ محمد الجابر يقدم عن طريق مؤسسته هذه ولسنوات عديدة منحاً دراسية للطلاب العرب لنيل درجات عليا في أعرق الجامعات العالمية، كما شمل إهتمامه بالمرأة تقديم الفرص الكافية لها في مجال الدراسات العليا فكان تبرعه الأخير بمبلغ ٤ مليون جنيه إسترليني لكلية دار الحكمة للبنات في جدة، أردفه بمنح دراسية للمتفوقات من خريجات هذا العام الدراسي حيث حصلت سبع منهن على منح هذا العام وهنّ الآن بلندن لمتابعة الدراسات العليا.





عبدالله البردوني
١٩٢٣-١٩٩٩

شاعر التحديات والسمو باللغة

ولد الشاعر الكبير عبدالله البردوني في قرية البردون (بفتح الباء وتشديد الدال) من محافظة ذمار الواقعة ـ جغرافياً ـ في قلب اليمن. ولم يكن ـ حتى وقت متأخر ـ يعرف سنة مولده إلا تخميناً حين حددها في ديوانه الأول (من أرض بلقيس) بـ ١٣٤٨هـ وفي السيرة القصيرة التي تضمنها ذلك الديوان إشارة إلى أنه بين سن الرابعة والسادسة من عمره داهم البلاد وباء الجدري الذي ظل يتعهدها إلى منتصف الخمسينات من القرن العشرين ـ واختطف عينيه مع العشرات من أطفال قريته فضلاً عن تشويه وجوه عشرات آخرين نجوا من الموت والعمى بأعجوبة.

أدركت الأسرة بعد أن فقد البردوني الطفل بصره أنه لم يعد نافعاً في مجتمع قبلي زراعي فبعثت به إلى مدينة ذمار ليتعلم القرآن الكريم لعله يرتزق من تلاوته، لكن الشاعر الموهوب خرج في وقت مبكر عن الخط الذي حاولت أسرته أن ترسمه لمسيرة حياته القادمة فبدأ في حفظ الشعر وفي متابعات دروس الفقه والحديث الأمر الذي أهله للانتقال إلى مرحلة أعلى في المدرسة العلمية بصنعاء العاصمة التي تفتح وعيه فيها على المزيد من العلوم والمعارف الأدبية واتسعت قراءاته في الشعر قديمه وحديثه وبدأت محاولاته الأولى في الظهور.

قالوا عنه ـ في بغداد عندما تسلطت عليه الأضواء لأول مرة في مهرجان أبي تمام ـ إنه مفاجأة اليمن الإبداعية السارة فقد نجح في أن يعلن ـ في حشد من شعراء الأمة العربية ـ عن حضوره الإبداعي وعن تمرده على العمود داخل العمود نفسه، وفي ظل هذا التمرد جرَّب الرمزية والسوريالية، وأطلق على بعض قصائده عناوين مثيرة للجدل مثل: زمان بلا نوعية، تحولات، أعشاب الرماد، دوي الصمت. واستهوت طريقته عدداً من الشعراء الشبان والكهول الذين كتبوا وما زالوا يكتبون أشعارهم على ضوء تجربته الكبيرة.

وإذا كانت الكلاسيكية تشكو من تحكم الشعراء الموتى في الشعراء الأحياء فإن شعراء الكلاسيكية الجديدة لم يتمكنوا بما اكتسبوه من المغامرات المماثلة أن يتحكموا في مقلديهم وحسب، بل أن يبتلعوهم وينتقموا منهم شر انتقام على ما يتسببون به من تشويش طريقتهم في الكتابة الشعرية ومحاولة مسخها وتحويلها إلى قوالب شكلية جاهزة. وهذا بعض ما نال كل الذين حاولوا تقليد إلياس أبو شبكة وبدوي الجبل وإيليا أبي ماضي والبردوني وسليمان العيسى والجواهري وأضرابهم من عمالقة التحديث العمودي.

كثيراً ما تحدث إليَّ الشاعر الكبير وإلى عدد آخر من أصدقائه عن رغبة كامنة في كتابة قصيدة التفعيلة إيماناً منه بالتنوع الخلَّاق في مجال الكتابة الشعرية لكنه لم يحاول ذلك، وظل مشدوداً بسلاسل من الذهب إلى القصيدة «البيتية» بموسيقاها الهادئة حيناً والصاخبة حيناً آخر، وشعره العظيم يؤكد على أن قبضة الشكل الكلاسيكي ما تزال شديدة وقادرة على مناوشة الأشكال الحديثة والأحدث، وفي هذا الشكل الكلاسيكي نماذج حافلة بالدلالات والرموز والأساطير ومساحات واسعة من العذوبة الناتجة عن الجمع بين إيقاع اللغة وموسيقى البحور، وهو ما يدعو شعراء الحداثة وأنصر النماذج المنفتحة على التجارب التعبيرية الأحدث إلى أن يراجعوا مواقفهم ويضاعفوا من جهدهم والعناية بلغتهم والتقليل من مساحات البياض واستيعاب تحديات البناء الحديث الهادف إلى إضافة الجديد إلى الموروث وليس إلى كسر ثوابته وحسب.

الأشياء ـ بالنسبة للشاعر الحقيقي ـ لا تكون حاضرة في ذهنه ولا في بصره وإنما في وجدانه، يستوي في ذلك من له عينُ زرقاء اليمامة وفاقد البصر، فالمرائي التي يرسمها الشاعر بخياله ليست هي المرائي الخارجية التي يراها بعينيه وإنما هي تلك التي يضج بها محيطه الداخلي، ولكل شاعر كبير مصباحه المتقد ليلاً لديله على هذه المرائي، وهو عند فاقد البصر أكثر توهجاً واتقاداً لأنه يظل في منجاة من الرؤية المباشرة وجبروتها، وبمقدار ما تكون الأشياء حاضرة في الوجدان وفي الشعور يكون الشاعر مبدعاً يستمد من داخله صور الأشياء ويستنطق العلاقات المتشابكة ويلبسها ثياباً من لغته التي لا تكون متميزة وصاعدة إلاَّ بقدر ما تجيد رسم هذه العلاقات والتشابكات. ومن المؤكد أن البردوني كان واحداً من الشعراء المعاصرين القلائل الذين امتلكوا هذه الخاصية بامتياز وأجادوا توظيفها باقتدار.

لا يمكن الحديث عن البردوني الشاعر في منأى عن البردوني الناقد والمؤرخ والكاتب الصحفي وربما شغل الناس بأفكاره النقدية وبنظراته التاريخية ـ في وقت من الأوقات ـ بأكثر مما شغلهم بشعره، بالرغم من الإجماع على أنه شاعر بالدرجة الأولى ومن الدرجة الأولى، وأن اضافته الجوهرية والحقيقية تتجلى في إبداعه الشعري إلاَّ أنه لا يمكن تجاهل كتاباته النثرية. وكان كتابه (رحلة في الأدب اليمني) خلاصات نظرية عن الشعر والشعراء في اليمن واستقصاءات نقدية بالغة الأهمية في وقت لم تكن الجامعات قد اطلعت نقادها الأكاديميين ولا الساحة الأدبية قد هيأت لظهور النقاد المحترفين، وفي الوقت ذاته فقد نجح البردوني في اقترابه من الأدب الشعبي وتقديم لمحات نقدية ذكية عن انساقه المختلفة من شفهية ومدونة.

ولعل كتاباته السياسية هي الأحفل بالإثارة واستيعاب فكره النقدي، ويبدو أن أكثر ما كان يكرهه في حياته الصمت فقد كان مسكوناً بالقلق الذي سكن وجدان عدد من الشعراء الكبار أصحاب القضايا التي لا تستطيع القصيدة وحدها أن تستوفي الحديث عنها.

من الثابت بعد أن استكمل الموت في ١٩٩٩/٨/٣٠م تجربة الشاعر الكبير أنه كان يدرك أهمية الشعر ليس من وجهة نظر فنية صرفٍ وحسب وإنما من وجهة نظر فكرية أيضاً، انطلاقاً من أن الشعر لم يكن فناً طارئاً على الروح بل نابعاً من أشواقها إلى محاولة اكتشاف المجهول. وكل شاعر قديم أو حديث يستشعر بحسه الفطري سعادة عميقة وكأنه الشاعر الأول ذلك الذي كان يستغرق في البحث عن معنى لوجوده ويرصد بالكلمات أبعاد الرحلة القاسية مع الحياة في اشراقاتها وظلماتها. ومن المؤكد أن الشعر بالنسبة للإنسان لم يكن وسيلة الوعي بالزمان والمكان وحسب وإنما كان بمثابة وعي الإنسان لنفسه ولاحتواء تأملاته الشاردة. ومهما يطرأ على الشعر من تغيرات في الأسلوب أو الشكل فإنه يبقى ذلك الملاذ الفاتن، والوسيلة المثلى للتعبير، وهو الأكثر شبهاً بالأشجار التي تغير أوراقها ولا تغير جذوعها وفروعها وذلك بعض ما تقوله النصوص المختارة من المجموعات الشعرية التي أنجزها شاعرنا الكبير خلال خمسين عاماً هي كل عمره الإبداعي البالغ الخصوبة والثراء. وهو شاعر حديث بكل ما للكلمة من معنى لا سيما في مجموعاته الشعرية الأخيرة التي تخلص فيها من أصوات الآخرين. وإذا كانت اللغة هي أهم عناصر الحداثة في الشعر فإن البردوني من الشعراء العرب القليلين الذين أدركوا أهمية اللغة ولم يدخروا وسعاً للتعامل معها بحرارة وأُلفة.

د. عبد العزيز المقالح

سبهان آدم

من مواليد الحسكة (سوريا) سنة ١٩٧٢. تعلّم الرسم على نفسه عند بلوغه السابعة عشرة من العمر، بعد اهتمام بالشعر والفلسفة. أقام في المدينة العالمية للفنون في باريس سنة ١٩٩٩. في جعبته العديد من المعارض الفردية في سوريا، لبنان، الأردن وفرنسا.

ينتمي إلى أولئك المبدعين الذين يطرحون معاناة الإنسان في صراعه الأزلي مع الوجود، والقلق الذي يرافق الحالة الإنسانية في إعطاء معنى للحياة والموت. يرسم الإنسان في صراعه بين القوة والعجز، بين العظمة والذل، بين المواجهة والاستسلام، بين الحقيقة والخيال، هذا الإنسان الذي يذبح كل يوم قربانا على مسرح الحياة، في محاكمة مستمرة حكم فيها عليه بالموت منذ البداية. نص تعبيري لرؤية وجودية كفكاوية، ملؤها القلق والرفض، على كثير من السخرية والتهكّم والنقد اللاذع، يحكي بحقيقة صارخة عن واقع إنساني واجتماعي يقارب الهذيان والعبثية.

الراعي
محمد بن عيسى الجابر
MBI FOUNDATION

المؤسس
شوقي عبد الأمير

المدير التنفيذي
ندى دلاّل دوغان

الإستشارات الفنية
صالح بركات
غاليري أجيال، بيروت.

تصميم و إخراج
Mind the gap, Beirut

الإعداد والطباعة
بول ناسيميان،
بوميغرافور برج حمود بيروت

الإستشارات القانونية
"القوتلي ومشاركوه - محامون"

الإستشارات المالية
ميرنا نعمي

المتابعة والتنسيق
محمد قشمر

الصحف الشريكة
الأنباء الخرطوم
الأهرام القاهرة
الأيام رام الله
الأيام المنامة
تشرين دمشق
الثورة صنعاء
الخليج الإمارات
الدستور عمّان
الرأي عمّان
الراية الدوحة
الرياض الرياض
الشعب الجزائر
الشعب نواكشوط
الصباح الرباط
طريق الشعب بغداد
العرب طرابلس الغرب وتونس
مجلة العربي الكويت
القدس العربي لندن
النهار بيروت
النهضة بغداد
الوطن مسقط

خضع ترتيب أسماء
الهيئة الإستشارية
والصحف للتسلسل الهجائي
حسب الاسم الأول

كتاب في جريدة
العدد الأول للانطلاقة الجديدة
التسلسل العام: عدد رقم ٦٧
(٣ مارس ٢٠٠٤)
يصدر بالتعاون مع
وزارة الثقافة في لبنان.

برج حمود، ص.ب 80317
بيروت، لبنان
تلفون 601 798 (1-961+)
فاكس 614 791 (1-961+)
kitabfj@cyberia.net.lb

مختارات شعرية

عبد الله البردوني



إلى أين؟

إبريل ١٩٩١

أما زلتَ؟ شابتْ عِيالُ العيالْ
وأنتَ تلاحقُ وعدَ المطالْ
فلا أمكنَ الممكنُ المُشْتَهى
إليكَ ولا المستحيلُ اسْتَحالْ

* * *

تبيتُ على بابِ سينٍ وراءٍ
وتغدو على بابِ واوٍ ودالْ
وكالفجرِ فوقَ اخضرارِ المروجِ
تُسمِّي قوافيكَ (ريّا)(نَوالْ)
فيخْطرْنَ مثلَ ربًى من كروم
كعشقِ أمالَ الصِّبا واستمالْ
ويخترنَ نهجاً ويلبسنَ مِنْ
شفافيَّةِ الغيبِ عقداً وشالْ

* * *

وأنت ترى منذ أمسِ غداً
وتلمِسُ بالكفِّ ما لَ يُخَالْ
وتلهث خلفَ الذي ما ابتدا
وراءَ الذي جاوزَ الإكتمالْ
تُنقِّبُ عنْ طيفِ عادٍ تشمُّ
صدى كلِ مئذنةٍ عن (بلالْ)
وتروي عن الرمل مسرى (قصير)
وما جدعُهُ الأنفَ (ما للجمالْ)[1]
تُنقّي المناسِبَ والنّاسبينَ
فتلقى الحقيقةَ كالإنتحال

* * *

تُجيبُ (الحدا) أيَّ ركب حدتْ
و(خولانُ) مَنْ ذا دعاهُ (الطِّيالْ)
ومَن حلَّ قبلَ (زَبيدٍ) زبيداً
ومَن قالَ (عَمْران) ضاهت (كُهالْ)
تفوتُ الذي عَقَلَ السيرَ فيكَ
تلاقي الذي لا يَحلُّ العقالْ

وعن ذا، وذاك تميلُ قليلاً
وتنهي رحيلاً ببدءِ ارتحالْ
أيُقْمِرُ أيُّ مساءٍ وما
أتى مِن أواخر سُقْمِ الهلالْ؟
تحمَّلتَ ستينَ لهفى وجئت
كطفلٍ يسابقهُ الإكتهالْ
ألستَ شقيقَ الرَّوابي التي
كساها النَّدى وارْتَعاها الهُزالْ
كلانا كنبتِ ربيعِ الرِّمال
نرفُّ ارتجالاً ونَذوي ارتجالْ

* * *

لماذا أتيتَ؟ لأني أتيتُ
وتعليلُ هذا أمضُّ اعتلالْ
لأنَّ بقلبي بلاداً تجولُ
ومنها إليها أُعنِّي المجالْ
أفيها تُفتِّشُ عنها وعنكَ؟
لأطلال (ميسونَ) يبكي (طلالْ)

* * *

يقولونَ: أدمنتَ جَوْبَ العصور
ورافقتَ أخطارَ أعلى الجبالْ
نعم كان ذاك، وهذا، وكان
شرابي وقوتي غباراً و(آلْ)[2]
وكنتُ أموتُ غراماً وجوعاً
وأدعو المماتيْنِ أعلى مِثالْ
وأسْتَنْطِقُ الرِّيحَ ماذا رأتْ
وأسْتَخْبِرُ السَّيْلَ مِنْ أينَ سَالْ؟
ويسألني البرقُ: مَن أنتَ، هلْ
قَرأتَ كتابَ انتظارِ الغِلالْ
ومَن ذا رمى بكَ قلبَ الزِّحَام
وأطفأ في مقلتيْكَ (الذُّبَالْ)؟
وكنتُ أُدنْدنُ كالمبحرين
وأكسو الأسى جُبَّةَ (الإعْتِزَالْ)

أشاكي الرُّبى، وأفدِّي غديراً
يَحِنُّ ويُعطي سواه الزُّلالْ
فتهمسُ لي تينةٌ: هل أُريكَ
فقيهاً يلقِّيكَ بنتَ الحَلالْ؟

* * *

وكنتُ أُمنطقُ (بيعَ الحدام)
وباب الذي (يُوجبُ الإغْتِسَالْ)
أُداجي الصِّحابَ فأدعو (حُسيناً)
(جريراً)، وأدعو (مُثَنَّى) (الجَلالْ)[3]
و(شيخ البخاري) يُنَادي بنا:
إلى الفقهِ ما الشِّعرُ إلاَّ الضَّلالْ
وكانتْ تُسَلِّفُني الخَابزَاتُ
ريالَيْن، حتى أُلاقي الرِّيالْ
وكنتُ معَ البَدوِ، أحدو هناكَ
أُغنِّي معْ حاملاتِ السِّلالْ
أَشُبُّ القصيدةَ في (حالمين)
فتُمسي بَوارِقُها في (عُبالْ)
يقولونَ: تُضْني (لماذا) بكيف؟
لأنَّ سُؤالي جَوابُ السُّؤالْ

* * *

يقولونَ: إنْ قلتَ أسْمَعْتَ، إنْ
سكتَّ، ففي البالِ عِشْرونَ بَالْ
أهذي ذنوبٌ أُجازى بها؟
لأنك أدنيْتَ بُعدَ المُحَالْ
أتَمْنَحُ كُلَّ صَموتٍ فماً
إذا باحَ أسقى الرِّياحَ الصِّيالْ

* * *

يقولونَ: هذا التظّى ثورةً
ومن عَيْبِهِ أنَّهُ ما يَزالْ!
أما تلْكَ دَعْوى غَبيٍّ نَوَى؟
ومِن قبلِ أنْ يَشتَهِلَّ اسْتَقَالْ

إلى أين؟

(١) ما للجمال: إشارة إلى قصة المستشار قصير الذي جدع أنفه قصد التنكر والذي حمّل الجمال بالمقاتلين في شكل بضائع فعرف الذي شمَّ المكيدة حمولة الجمال فقال راجزاً:

ما للجمال مَشْيها وئيدا
أجندلاً يحملن أم حديدا
أم الرجال جثَّماً قعودا؟

(٢) آل: الآل هو السراب الذي يموج في القفار كالماء وليس بماء.

(٣) الجلال: هو الحسن بن أحمد الجلال من علماء القرن الثامن عشر في اليمن، كان حجة في فقه رواية الأحاديث. ومن أشهر كتبه: ضوء النهار



تـنـقُّ الـدَّجـاجُ الـتـي لا تـبـيـض
لتهدي إليها (ذوات الحجال)[٤]
تـثـورُ وحـيـداً؟ رفـاقـي أُلُـوفٌ
رضـعْنـا صـغـاراً حليب النِّضـالْ
أَمـا قَـالَ: إنـطـاقُ عُـشٍّ (الـقـطـا)
قـتَـالٌ، وإسـكـاتُ (بـومٍ) قِـتَـالْ؟

* * *

تَـحَـامـى قَـصَـائِـدَكَ الـنَّـاقِـدونَ
وأيُّ يـدٍ تـلـمـسُ الإِشْـتـعَـالْ
ألـيسَ (الـدَّكَـاتيرُ) يَـخْـشَـوْنَ مَـنْ
يَـقـولُ الـذي يَـنْـبـغِـي أنْ يُـقـالْ
لـهُـمْ أنْ يَـصـونُـوا دِمـاءَ الـدَّواة
ولـلـشَّـعْـبِ أنْ لا يـرَاهُـمْ رِجَـالْ
بِـذا صُـنْـتَ فَـنَّـكَ مِـنْـهُـمْ، كَـمَـا
يَـصُـونُ الـجَـمِـيلَـةَ عُـنْـفُ الـجَـمَـالْ

* * *

عـلـيـنـا أُمـورٌ نَـضَـتْـنَـا لـهـا
أتُـلـهـي عـن الـفِـعْـل بـالإفْـتِـعَـالْ؟
أمَـانـيكَ تَـبْـدوُ كَـمَـالـيَّـةً
أتَـسـكَـرُ والـخُـبـزُ أعـصـى مَـنَـالْ؟
تـريـدُ الـصَّـدى قَـبـل قـرع الـطَّـريق؟
دلـيـلُ الإرادات ومضُ الـخَـيَـالْ

ثرثرات محموم

يناير ١٩٧٤

كان يحكي. .يبكي. . يجيبُ. . يُنَادي
يدَّعي .. يشتكي .. يصافي .. يعَادي
مرحباً (سعيدُ). . خذ نور عيني
أسكتي . .هاتِ بُنْدُقِي يَا (عُبادي) ..
غادَرتْ عُمقَهَا البحارُ وجاءَتْ
ركبتْ ظلَّهَا الرِّمالُ الحَوَادي

* * *

هل تخافينَ أن أموت؟ حياتي
لم تحقِّقْ شَيئاً يثيرُ افتِقادِي
كنتُ كالآخرينَ، أمشطُ شَعْري
أنتقي بزَّتي، أبيعُ كَسَادي
أشتري (ربطة)[١]، وأصحو بكاس
وبكاسٍ أُطفي شموع سهادي
وأُوَالي بلا اعتقادٍ وأنوي
سحقَ مَنْ لم يتاجروا باعتِقَادي
كلُّ هذَا عُمْرِي. . وعمرٌ كَهذا
لا يُسَاوي. . عذابَ يوم وِلادِي

* * *

إسقِني يا (صلاح) .. زدْ ..مَنْ دعَاني؟
يا عيالَ الكلابِ: ردُّوا جَوَادي
كيف أقضي ديْني وليس ببيتي
غيرُ بيتي ومِعزفٌ غيرُ شادي
والَّذي كانَ والدي . . صارَ طفلي
من أُداري عنادَه أو عنادي؟

* * *

لبسَتْ قامةُ الرِّياحِ جَبيني
نسي اللَّيلُ رجلَه في وِسَادي

* * *

زَوَّجَتْ بنتَهَا بعشرين ألفاً
باعَ (ناجي سعيد) (زيدَ الجَرَادي)
كلُّ آتٍ مَضَى. . أتى كلُّ ماض
ضاع في كلِّ رايحٍ كلُّ غَادي
(ما كَفَى واحِداً كَفى اثنين). . قالوا
أكلوني. . ويحذرونَ ازدرادي
ولأنِّي مُجوَّفٌ مثلُ غيري
بعْتُ وجهي لوجهِ مائِي وزَادي
أَليساريُّ رزقُ اليميني. . وقالوا:
أَجْودُ الخُبزِ مِنْ طحينِ التَّعَادي
من سيعطي (سعداً) حُساماً بصيراً
ثالثُ السَّاعديْنِ، ذيلٌ، حيادِي

* * *

ذاتَ يومٍ كانتْ ممراتُ (صنعاء)
من نبيذٍ ومِنْ زهورٍ نوادي
تَتَهادى النُّجومُ في كلِّ دَرْبٍ
كالغَواني. فأين ذَاك التَّهَادي؟
سألوا من أَنا. . وصرَّحتُ باسمي
كاملاً. . أنكروا بأني (مُرَادي)

* * *

قلت(إبِّي). . (عنسيٌّ). . (زيديٌّ) أشاروا
أَلريالاتُ نسبتي وبلادي
أضحكتْهُمْ كتابةُ اسمي. . وفوْراً
بَيَّضَتْ خضرةُ النُّقُودِ مِدَادِي

* * *

عندهُ نعجةٌ فأمسى مديراً. . !
نهدُ أنثَى مؤهَّلٌ غيرُ عَادِي
أَلحليبُ الذي يُسمَّى جلوداً
طازجاتٍ.. أمسى سريرَ (ابنَ هَادي)[٢]
قَبلَ بدءِ الزَّواجِ طُلِّقتْ. . صارَتْ
كلُّ زوجاتِهِمْ. . خيولَ رقَادي
كانَ يخشى أبي فَسادِي ويبني
يومَ عُرسي رفضْتُ. .عاشَ فسادي
كنتُ أعتادُها (غَزالاً). . فأضحَتْ
(فاتناً). . ودِّعِ الهَوَى يا فُؤَادِي

* * *

من أرادَ النَّجاةَ. . ماتَ ليحيا
والذي لم يَمُتْ ..إلى الموتِ صادي
سَلَّحُونا (شيكي)[٣] وقالوا عليكُمْ
وعليكم. . حسبُ القَرارِ القيادي
كانَ (يحيى) كالتَّيسِ يعدو ويثْغُو
و(مثنَّى) يُلقي خِطاباً زيادي[٤]
وهَجَمنَا. . متْنا قليلاً. . أفقنا
موتُنا كانَ مولِداً لا إرادي
ورجعنا. . وللصخور عيونٌ
كالصَّبايا وللرَّوابي أيادي

* * *

إلى أين؟

(٤) ذوات الحجال: كناية عن النساءالمحجلات

ثرثرات محموم

(١) رَبطةٌ: حزمة قات.

(٢) ابن هادي: اشتهر بالرشوة فسميت باسمه.

(٣) شيكي: نوع من البندقيات يكشف للعدو باضاءته مصدر الرماية الليلية.

(٤) زيادي: نسبة إلى زياد بن أبيه صاحب الخطبة الشهيرة (البتراء).

إنَّ تحتَ القناعِ والوجهِ وجهاً
يختفي تحتَ ظهرِهِ. . وهْوَ بادي
صاحبُ الوَادِيَيْنِ – دونَ تمنٍّ –
نالَ ألفاً. . وباعَ مليونَ وادي

* * *

بدءُ ليلي حبٌّ، بدونِ عشاءٍ
نصفُ يومي هوى.. وخبزٌ معادي
هل سأعتاد وجهَ غيري بوجهي؟
زَعَمُوا. . ربَّما أخونُ اعتيادي
قلتَ لي: أنْ ذا (أكيداً) ولكن
أيُّ شيءٍ مؤكَّدٌ يا (حَمادي)؟

* * *

آه. . ماذا أريدُ؟ أدري وأنسى
ثم أنسى. . أنّي نسيتُ مُرَادي

* * *

كان يحكي. . وفَتَحْتَا مُقْلتيْهِ
مثلَ ثقبيْنِ. . في جدارٍ رمادي





أبو تمّام وعروبة اليوم

ديوان "لعينيّ أم بلقيس" ديسمبر ١٩٧١

ما أصدق السيف! إن لم ينضه الكذب
وأكذب السيف إن لم يصدق الغضب
بيض الصفائح أهدى حين تحملها
أيدٍ إذا غلبت يعلو بها الغلب
وأقبح النصر. . نصر الأقوياء بلا
فَهْم.. سوى فهم كم باعوا. وكم كسبوا
أدهى من الجهل علمٌ يطمئن إلى
أنصاف ناس طغوا بالعلم واغتصبوا
قالوا: هم البشر الأرقى وما أكلوا
شيئاً. . كما أكلوا الإنسان أو شربوا

* * *

ماذا جرى. . يا أبا تمام تسألني؟
عفواً سأروي. .ولا تسأل. .وما السبب
يدمى السؤال حياءً حين نسأله
كيف احتفت بالعدى (حيفا) أو (النقب)
من ذا يلبي؟ أما اصرار معتصم
كلا وأخزى من (الأفشين)[1] ما صُلِبوا
اليوم عادت علوج (الروم) فاتحة
وموطن العرب المسلوب والسلب
ماذا فعلنا؟ غضبنا كالرجال ولم
نصدق.. وقد صدق التنجيم والكتب
فأطفأت شهب (الميراج) أنجمنا
وشمسنا.. وتحدّت نارها الخطب
وقاتلت دوننا الأبواق صامدةً
أما الرجال فماتوا. . . ثَمَّ أو هربوا
حكامنا إن تصدّوا للحمى اقتحموا
وإن تصدى له المستعمر انسحبوا
هم يفرشون لجيش الغزو أعينهم
ويدعون وثوباً قبل أن يثبوا
الحاكمون و«واشنطن» حكومتهم
واللامعون. . وما شعوا ولا غربوا
القاتلون نبوغ الشعب ترضية
للمعتدين وما أجْدتهم القرب
لهم شموخ (المثنى)[2] ظاهرا ولهم
هوىً إلى «بابك الخرمي» ينتسب

* * *

ماذا ترى يا (أبا تمام) هل كذبت
أحسابنا؟ أو تناسى عرقه الذهب؟
عروبة اليوم أخرى لا يتم على
وجودها اسم ولا لون. . ولا لقب
تسعون ألفاً (لعورية) اتقدوا
وللمنجم قالوا: اننا الشهب
قيل: انتظار قطف الكرم ما انتظروا
نُضْج العناقيد. . لكن قبلها التهبوا
واليوم تسعون مليوناً وما بلغوا
نضجاً. . وقد عُصر الزيتون والعنب
تنسى الرؤوس العوالي نار نخوتها
إذا امتطاها إلى أسياده الذنب

* * *

(حبيب) وافيت من صنعاء يحملني
نسرٌ وخلف ضلوعي يلهث العرب
ماذا أحدث عن صنعاء يا أبتي؟
مليحة عاشقاها: السل والجرب
ماتت بصندوق «وضاح»[3] بلا ثمن
ولم يمت في حشاها العشق والطرب
كانت تراقب صبح البعث.. فانبعثت
في الحلم.. ثم ارتمت تغفو وترتقب
لكنها رغم بخل الغيث ما برحت
حبلى وفي بطنها «قحطان» أو «كربُ»
وفي أسى مقلتيها يغتلي «يمن»
ثان كحلم الصبا. . ينأى ويقترب

* * *

«حبيب» تسأل عن حالي وكيف أنا؟
شُبّابةٌ في شفاه الريح تنتحب
كانت بلادك (رحلاً)، ظهر (ناجية)
أما بلادي فلا ظهر ولا غَبب
أرعيت كل جديب لحم راحلة
كانت رعته وماء الروض ينسكب
ورحتَ من سفر مضنٍ إلى سفرٍ
أضنى. . لأن طريق الراحة التعب
لكن أنا راحل في غير ما سفرٍ
رحلي دمي ..وطريقي الجسر والحطب
إذا امتطيتَ ركاباً للنوى فأنا
في داخلي. . أمتطي ناري وأغترب
قبري ومأساة ميلادي على كتفي
وحولي العدم المنفوخ والصخب

* * *

«حبيب» هذا صداك اليوم أنشده
لكن لماذا ترى وجهي وتكتئب؟
ماذا؟ أتعجب من شيبي على صغري؟
إني ولدت عجوزاً.. كيف تعتجب؟
واليوم أذوي وطيش الفن يعزفني
والأربعون على خدي تلتهب
كذا إذا ابيض أيناع الحياة على
وجه الأديب أضاء الفكر والأدب

* * *

أبو تمّام وعروبة اليوم

(١) (حيدر الافشين) كان قائد جيش المعتصم، فخانه فصلب وأحرق، قال أبو تمام في حرقه: رائيته الشهيرة:
الحق أبلج والسيوف عواري... الخ.

(٢) المثنى بن حارثة الشيباني.. الفارس الشهير.

(٣) هو: عبد الرحمن بن اسماعيل.. شاعر يماني غلب عليه لقب وضاح لاشراق وجهه ووضوحه.
أحبته (أم البنين) زوج الخليفة (الوليد بن عبد الملك) وعندما اكتشف أمره في ساعة وصل خبأته في صندوق.. وعندما عرف الخليفة أخذ الصندوق ورماه في بئر كان تحت بساطه.



وأنت مَن شبت قبل الأربعين على
نار (الحماسة) تجلوها وتنتخب
وتـجتـدي كـل لص مترفٍ هبةً
وأنت تعطيه شعراً فوق ما يهب
شرقت غربت من (وال) إلى (ملك)
يحثك الفقر . . أو يقتادك الطلب
طوفت حتى وصلت (الموصل) أتلفأت
فيك الأماني ولم يشبع لها أرب
لكن موت المجيد الفذ يبدأه
ولادةً من صباها ترضع الحقب

* * *

«حبيب» ما زال في عينيك أسئلة
تبدو . . وتنسى حكاياها فتنتقب
ومـا تـزال بـحلـقي ألف مبكية
من رهبة البوح تستحيي وتضطرب
يـكـفيك أن عـدانـا أهـدروا دمـنـا
ونحن من دمنا نحسوا ونحتلب
سحائب الغزو تشوينا وتحجبنا
يوماً ستحبل من أرعادنا السحب؟
ألا تـرى يـا «أبـا تـمـام» بـارقـنـا
(ان السماء تُرَجّى حين تحتجب)

وجوه دخانية في مرايا الليل

ديوان "وجوه دخانية في مرايا الليل" ابريل ١٩٧٥

الدُجى يَهْمِي . . وهذا الحزن يَهْمِي
مطراً من سُهده ، يَظمى ويُظمى
يـتـعب الـليـل نـزيـفـاً . . وعـلـى
رغـمـه يَـدمَى ، ويـنـجرُ ويُـدمِي
يـرتـدي أشـلائـه ، يـمشـي عـلـى
مقلتَيه حافياً ، يَهـذي ويُومي
يـرتـمـي فـوق شـظـايا جلده . .
يَطبخ القَيْحَ ، بشَدقيه ويَرمي

* * *

أيـهـا الـلـيـلُ . . أنـادي إنـمـا
هل أنادي؟ لا . . أظن الصوت وهمي
إنـه صـوتـي . . ويـبـدو غـيـره
حين أُصغي باحثاً عن وجه حُلْمي
من أنا؟ . . أسألُ شخصاً داخلي:
هل أنا أنت؟ ومن أنت؟ وما إسمي؟

* * *

أيـهـا الـحـارس تـدري مـن أنـا؟
اشتروا نومي . . طويلٌ ليلُ همي
ألأنـي حـارسٌ يـا سـيـدي؟ . .
زوجـوهـا ثـانـيـاً ، الـمـالُ يُـعمي
مـن أنـا؟ . . الـليـلُ يـبـنـي للـرؤى
قامةً كالرُمح ، من جلدي وعظمي
لا تـعـي سـكـران؟ تسعٌ أَعْـلَـنـت
أول الأخبار ، ما سموه رسمي
من أنا؟ . . صار ابن عمي تاجرا
واشترى شيخٌ ثريٌ ، بنتَ عمي

هـل تـنـام الـصـبـحَ؟ سـيـارتُـهـا
عبرت قدام عيني ، فوق لحمي
اصغ لي أرجوك؟ . . أغرى أمها
شيدت قصرين ، من أشْلاءِ هدمي

* * *

من أنا ياتكس؟ أفلستُ وما شبعوا
مَـن مِـن حـمـاة الأمـن يَـحـمـي؟
مِن هنا ، سِرْ ، ها هنا قِف ، رخصتي
ما الذي حمَّلت ، فتشْ ، هات قَسْمِي
خمسةٌ للقَاتِ ، خمسون لهم . .
وأنتهى دخلي ، وأنهى السلُ أمي

* * *

عـاجـن الـفـرن . . أتدري؟ سَنَةً
وأنـا أعـجـن أحـزانـي وغـمـي
مـن أنـا؟ كـانـت تـرى والـدتـي
ذُل بعض الناس ، تحت البعض حتمي
غبتَ عن قصدي! . . رفيقي غائبٌ
من ليالٍ ، رأيه في الحبس (جهمي)(١)

* * *

مـا الـذي أفـعـلـه؟ ، كـلٌ لـه
شاغلٌ ثانٍ ، وفهمٌ غير فهمي
داخـلـي يسـقـط فـي خـارجـه
غُربتي أكبر من صوتي ، وحجمي
(نُـقُـمٌ) يـرنـو بـعـيـداً ، سـيـدي
هل ترى في ضائع الارقام ، رقمي
طَحَنْتُ وجهي ـ لأني جبلٌ ـ
خيلُ كِسرى ، عَجَنَتْهُ خيل نظمي(٢)
أعشـبـت أرمِـدَةُ الأزمـان فـي
مُقْلَتَيَّ ، جَلمدت شمسي ونجمي
تـذهب الـريـحُ ، وتـأتـي وأرى
جبهتي فيها . . وهذا حد علمي

* * *

مَـن هـنـا أسـألـه ، مَـن ذا هـنـا؟
غير ثوبٍ ، فيه ما أدعوه جسمي
مـن أنـا والـلـيـلـة الـجرحـى عـلى
رغمها تهمي ، كما أَهْمِي برغمي
هل كفى يا أرض غيثاً؟ لم تَعُدْ
تغسل الأمطار ، أوجاعي وعُقْمي

وجوه دخانية في مرايا الليل

(١) نسبة إلى قصيدة الشاعر العباسي علي بن الجهم:
قالوا حبست. فقلت ليس بضائري
حبسي وأي مهند لا يغمد
(٢) إشارة إلى الاستعمار الفارسي والتركي.

كائنات الشوق الآخر

ديوان "كائنات الشوق الآخر"

لماذا المقْطَفُ الدّانُي
بعيدٌ عن يد العاني؟
لماذا الزهر آنيٌّ
وليس الشوك بالآني؟
لماذا يقدر الأعتى
ويعيا المُرهفُ الحاني؟

* * *

أيستسقي الدم الصادي
ندىً، أم خنجراً قاني؟
أيخشى الرعبُ رِجْليهِ
أيحذر كفَّهُ الجاني

* * *

ألا يستفسر المصباح
كيف دخيلةُ الراني؟
وما معنى أسى الشاكي
وكيف مخافةُ الهاني؟
وهل يستوطن المبنى
حشاهُ، أم يدَ الباني؟

* * *

أيدري السوق والعجلات
مَن ذا يحمل الثاني؟
ومَن أهدى إلى الأجدي
خُطى المُضنى أم الضاني؟
وهل سجّادةُ الأفعى . .
نقيضُ المرقد الزاني؟
وكيف يوسوس المُفني
وماذا يحلم الفاني؟

* * *

أأستفتيك يا أشجار؟
: فوقي غيرُ أغصاني
كومض الآل إيراقي
كلغو السُّكْر إعلاني
وكالحدَبات أثدائي
وكاللّصَقات ألواني
أتستفتي أُروماتي
متى يُطلعن أفناني؟

* * *

أريد مدىً إضافياً
ثرىً من صنع إتقاني
وتاريخاً خرافياً
أعلق فيه قمصاني
أيمكن كل مرفوض
وهذا الشوق إمكاني

* * *

أيا بستان هل تصغي؟
لمن؟ والقحط سلطاني؟
أليس الموت كالاموت
والمشدود كالواني

* * *

تُرى مَن أنت كي أُفضي
إليك بكل وجداني؟
ألستَ بيوت أحبابي؟
ولكن أين سُكّاني؟
أتذكرهم؟ هنا كانوا
عناقيدي وريحاني
على أحضانهم أصبو
ويستصبون أحضاني

* * *

لماذا جئتَ تُشجيني؟
أأنت رسول نَيساني؟
أتنكرُ نَكْهتي؟ كلاّ
تلوح كبعض عيداني

* * *

ترى هل ينمحي وضعي
إذا أعلنتُ كتماني
لماذا يغتدي طيري
وأثوي خلف حيطاني
ألا يا ليتني نهرٌ
وكل الأرض بستاني

* * *

أأستبكيكَ يا مقهى؟
بقلبي غير أحزاني
لأن مشاجباً أخرى
لبسن بطون أجفاني
وأنكى ما أعي أني
أنوء بحمل بنياني
وأني ـ بعد ما ولّى
بنو عثمان ـ عثماني

* * *

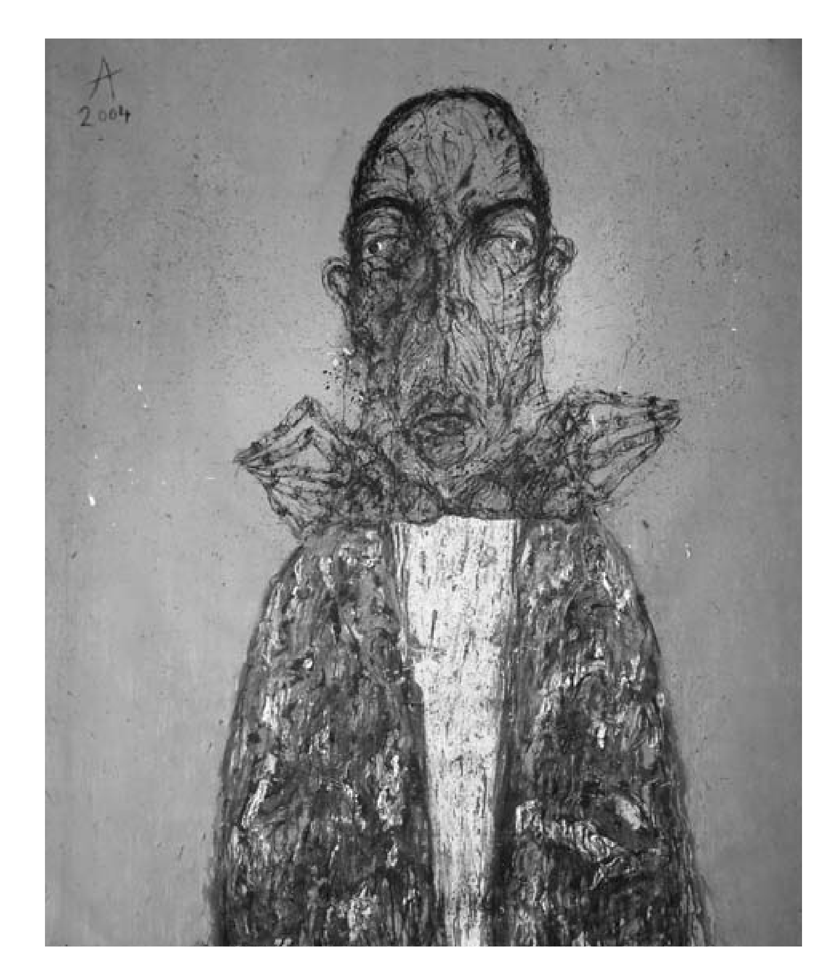
أمامي ظهر أيامي
وخلفي وجه سجّاني
أمن تحتي أرى برقاً
يريني أنفَ بركاني

* * *

أيا بيتاً هنا في القلب
كيف أبثُّ تحناني؟
إليك أُصيخ: هل تحكي؟
أضعتُ هناكَ تبياني
أقولُ، يقول عني السقف
غيرَ لغاتِ أركاني
لأن أباك «عنسيٌّ»
وخال الأم «باذاني»(١)

* * *

أتذكر، كنتَ بُنيّاً
ولونُ الباب رمّاني
وكان السورُ قاتِيّاً
ومرأى الصحن مَرجاني
وكنتَ تشير «بالكاذي»
«وبالوَرْسِ الغويداني»(٢)



وكنتَ مؤزّراً بالطيب
كالفجر الحزيراني
وبالأحباب معموراً
وكنتَ أحبَّ جيراني
تنثُّ الشدو «سَعْديّاً»
وأحياناً «قُمنْداني»(٣)

* * *

أمِن قلبي إلى سمعي
تمدُّ غرام ألحاني؟
أمِن صدري على صدري
تلمُّ فلول أزماني؟
هل استوقدتَ أعراقي؟
أم استنفرتَ جدراني؟
أحس تهدّمي يهفو
إلى نزغات شيطاني
أشمّ عبير تأريخي
وأسمع نبض عمراني
فلا طيفي «نجاشيٌّ»
ولا طيري «سليماني»(٤)
أطعتُ زمانَ إسكاتي
أأُعصي الآن عصياني

* * *

أأدنو منك يا مرسى؟
شئوني لسن مِن شاني
أتقرؤني؟ أما تبدو
فصولي عكس عنواني؟
لأن البحرَ غيرُ البحرِ
في قدميه أشجاني

* * *

كائنات الشوق الآخر

(١) عنسي: نسبة إلى الأسود العنسي الذي اصطرع مع «باذان» قائد الحملة الفارسية على اليمن، بعد أن أقره النبي والياً عليها.

(٢) الكاذي: نبات زكي الرائحة. والوَرْس: من شجر البهارات تستخلص منه صُبغة صفراء للثياب ووجوه النساء وكان أجود أنواعه في اليمن. الغويداني: نسبة إلى شعْب غويدان.

(٣) سعدياً: نسبة إلى مطرب في مطلع القرن العشرين اسمه: سعد عبدالله، الذي أشاعت الحكايات الشعبية الأعاجيب عن حسن غنائه. قمنداني: نسبة إلى المطرب الشاعر اللحجي القمندان الشهير بشعره الغنائي وغنائه الشعري.

(٤) نجاشي: نسبة إلى غزو النجاشي ملك الحبشة لليمن في القرن الثالث الميلادي. ولا طيري سليماني: إشارة إلى العفريت الطائر المسمى «آصف» الذي أمره الملك سليمان بحمل ملكة سبأ إلى عاصمته.



فـلا كـفّـاي مِـن أهـلـي
ولا الأمـواجُ خِـلاّنـي
بـحـكـم الـوضـع والـعـادات
ألـقـاهـا وتـلـقـانـي

* * *

بـودي أن أُحـيـلَ الـبـحـر
وشـمـاً تـحـت أردانـي
وأرحـل تـاركـاً خـلـفـي
لأمِّ الـرمـل أدرانـي

* * *

ألا يـا كـائـنـات الشـوق
أيـن تـريْـنَ شـطـآنـي؟
أنـاديـكـن: مَـن لـبّـى؟
ومَـن يـا صـمتُ نـادانـي؟
وهـل هـذا الـذي أجْـترُّ
كـالأنـقـاض جـثـمـانـي؟

* * *

أيـا هـذا لـمـن تـهـذي؟
أُهـاذي صـخـر إذعـانـي
أمـا اسـتـنـطـقت أشـبـاحـاً؟
بـل اسـتـنـطـقـن إمـعـانـي

* * *

أتسـأل طـالـبـاً ردّاً؟
ألـيـس الـحـلْـمُ إنسـانـي؟
أمـا لـلـمـوج طـوفـانٌ؟
وهـذا الـهـجْـسُ طـوفـانـي

«رواغ المصابيح»

ديوان "رواغ المصابيح" عام ١٩٨٧

القـناديل يا دُجى منكَ أدجىَ
المنايا، أم شرطة الليل أنجىَ؟
ربـما كنت تسأل الآن مثلي
وأنا أجتدي بإبطيك محجىَ[١]

* * *

القناديل لا تُري الشعب نهجاً
وتُري قاهريه عشرين نهجا
هل تعي يا دجى لماذا تحابي؟
: ذاك تُعميه، ذاك تُعطيه وَهْجا
مَن تداجي؟ تُمسي لبعضٍ سراجاً
ولبعضٍ إلى السراديب سَرْجا
ولـبـعضٍ أداةَ خـلـعٍ وحـرق
ولبعضٍ تُضيء رقصاً وصَنجا

* * *

أيـهـا الـنـابـغـي: قل أي شيءٍ
هِزَّ شدقيك، مجِّكَ الصمت مجّا[٢]
قيل نصف القتال هرجٌ ـ أراهُ
صار كُلاًّ أخفىَ بناناً وهرجا[٣]
وأخيراً نطقتَ ـ بل قلتَ عني:
ويح طفل الضياع ماذا تهجّا

* * *

هل سألت الملثّمين إلى كم؟:
مَن هداهم إلى الحواري وأزجى؟
هاهنا أهرقوا، هناك استقادوا
وهنا خلّفوا أنيناً وشجّا

* * *

يدخلون البيوت مِن كل ثُقبٍ
يسألون الدخان: مِن أين عجّا؟
يسلبون السكون طعم كَراهُ
يُرهقون الحصار فتلاً ونسجا
وينوشون عِش كل هَزار
وعلى (الدّيك) يهدمون (المدَّجّا)[٤]

* * *

إنهم مِن بني البلاد، ولكن
يُشبهون الغزاة سَلباً وزَجّا
قيل هذا الطويل ربّته (روما)
قيل ذاك البطين بالأمس حَجّا
قيل هذا الفتى القصير، يوالي
أُمسياتٍ في بيت شقراء غنجىَ
ذاك يزهو ويتّقي أن يلاقي
بعض مَن لقّبوه بالأمس (خُرجا)
ذاك يُبدي فصاحة السوط ليلاً
وهو في الصبح ينطق (العجل) علجا
ذاك يُرغي: لا تفقهوا أي علمٍ
مَن عصى أمرنا، أطاع (الفِرنجا)

* * *

أَتراهم مدجَّجين سُكارى
يُنهكون الجراح فتحاً ورتجا؟
يذبحون الرجاء في كل قلبٍ
وينوبون عن بزوغ المُرَجّا
كي يُسَمَّى زعيمهم كل شيءٍ
ويُسمّى جحيمهم غير ملجا

* * *

كيف تغشى يا ليل كل زُقاقٍ
لا ترى مَن طغىَ ولا كيفَ لَجّا؟
وإلى كم تسري بطيئاً وتأتي
لا أفاق الثرى، ولا الغيم ثَجّا؟

* * *

تحت عينيك يقتلون وتُغضي
هل نقيض الحِجى بعينيك أحْجا؟
في عيون النجوم شيءٌ كبَوْحي
التشاكي، أم حرقة الكبت أشجى؟

* * *

أنت ساهٍ، أنا أُريد وأعيا
يا دُجى، أيُّنا الحريقُ المُسَجّا؟
هل تَرى الليلة التي سوف تأتي
أهي صيفية الأسارير دَعجى؟
ـ الروابي أدرى بِشمّ السوافي
وبرصد السَماءِ بُرجاً فبُرجا

* * *

قيل يا أرض لا تدورين، قالت:
صرت أنجرّ ـ كالسيّاسات ـ عرجا
يَسمع الحكم أي صوتٍ هجاءً
طمئنيهِ، يداه أبذَى وأهجا
صَنِّفيهِ، تلقيه سوطاً وطبلاً
فسِّريهِ، تريه بطناً وفرجا

* * *

«رواغ المصابيح»

(١) محجى: الساتر من التراب والأحجار.

(٢) النابغي: هو الليل المخيف الطويل انتسب شعرياً إلى النابغة الذبياني لكثرة وصفه الليل بالخوف والابطاء في السُرى.

(٣) هرجا: تضمين روح المقولة الشعبية (الهرج نصف القتال).

(٤) المدَجّ: هو مبات الدجاج ولعلها تسمية يمنية إلا أنها فصحى قياساً على ممر مكان المرور ومسال مجرى السيل.

ولماذا أخرجتَني مِن سكوتي
وبقلبي أحدثتَ شَرخاً ورجّا؟
كي تميدي، وتركضي كالصبايا
كي تهزّي المروج، مَرجاً فَمَرْجا
كي تقصّي ماذا جَرى، وتقولي
أي شيءٍ في قاعة الصمت ضجّا
ألِهذا أقلقْتَني؟ مَن تُسَمّي؟
بعض أرضٍ، أُدعى (حُفاشاً) و(لحجا)

* * *

جئتُ كي تشعري بنهدَيك يوماً
هل أنا لا أحسّ؟ ما زلتَ فجّا
قلتُ ما تعلمين، كي تَطعَميه
لا أنا أهوَجٌ، ولا أنت هَوجا
كغموض اعتراف عينيك حُبّي
فأجيدي بين الغموضين مزجا

* * *

يا النُّجوم التي عليها أُشَوّي
أمنياتي، متى سيبلغن نُضجا؟
يا حنين الدجى: إلى كم ستغفو؟
أي فعلٍ لعُقدة الحال أوجَى؟(٥)
راوغَت أعين المصابيح، خوفاً
أو رجاءً، وهل رأت مَن يُرجّى؟

مصطفى

ديوان "كائنات الشوق الآخر" ١٩٨٦

فليقصفوا، لستَ مَقصَفْ
وَلْيَعْنُفوا، أنت أعنَفْ
ولْيحْشدوا، أنت تدري
إن المخيفين أخوَفْ
أغنى ولكنّ أشقى
أوهى، ولكنّ أجلَفْ
أبدى ولكنّ أخفى
أخزى ولكنّ أصْلَفْ
لهم حديدٌ ونارٌ..
وهُم مِن القَشّ أضعَفْ

* * *

يخشَونَ إمكان موت
وأنت للموت أألَفْ
وبالخطورات أغري
وبالقرارات أشغَفْ
لأنهم لهواهم..
وأنت بالناس أكلَفْ
لذا تلاقي جيوشاً
مِن الخَواء المزخرَفْ

* * *

يجزّئون المجزّأ..
يُصنّفون المصنّفْ
يكشّفون عليهم..
حراسةً، أنت أكشَفْ

* * *

كفُجأة الغيب تهمي
وكالبراكين تزحَفْ
تنثالُ عيداً، ربيعاً
تمتدُّ مشتىً ومَصْيَفْ
نسْغاً إلى كل جِذرٍ
نَبْضاً إلى كل مِعزَفْ

* * *

ما قال عنك انتظار
: هذا انثنى أو تحرَّفْ
ما قال نجمٌ: تراخى،
ما قال فجرٌ: تخلَّفْ
تُسابق الوقتَ، يعيا
وأنت لا تتوقَّفْ
فتسحب الشمسَ ذيلاً
وتلبسُ الليلَ مِعْطَفْ

* * *

أحرجتَ مَن قال: غالي
ومَن يقولُ: تطرَّفْ
إن التوسّط موتٌ
أقسى، وسمّوه: ألطَفْ
لأنهم بالتّلهي
أرضى وللزّيف أوصَفْ
وعندك الجبنُ جُبْنٌ
ما فيه أجفى وأظْرَفْ
وعندك العار أزري
وجهاً، إذا لاحَ أطْرَفْ

* * *

يا «مصطفى»: أيُّ سرٍّ
تحت القميص المنتَّفْ
هل أنت أرهفُ لمحاً
لأنَّ عُودَكَ أنحَفْ؟
أأنت أخصبُ قلبا
لأن بيتك أعْجَفْ؟
هل أنت أرغدُ حُلماً
لأن مَحْياكَ أشظَفْ؟
لِمْ أنت بالكل أحفى
مِن كل أذكى وأثقَفْ؟
مِن كل نبضٍ تُغنّي
يبكون «مِن سبِّ أهيَفْ»(١)

* * *

إلى المدى أنت أهْدي
وبالسراديب أعْرَفْ
وبالخيارات أدري
وللغرابات أكْشَفْ
وبالمهمّات أمضى
وللمُلمّات أحصَفْ

* * *

فلا وراءك ملهي
ولا أمامك مَصْرَفْ
فلا مِن البُعد تأْسي
ولا على القُرْبِ تأسَفْ
لأنَّ همَّك أعلى
لأنَّ قصدكَ أشرَفْ
لأنَّ صدرك أملى
لأنَّ جيبك أنظَفْ

* * *

قد يكسرونك لكنْ
تقوم أقوى وأرهَفْ
وهل صعدْتَ جَنيّاً
إلا لِتُرمى وتُقطَفْ

* * *

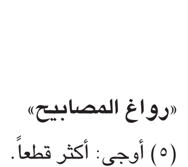
قد يقتلونك، تأتي
مِن آخر القتل أعْصَفْ
لأنَّ جذرك أنمي
لأنَّ مجراك أرْيَفْ
لأنَّ موتك أحيي
مِن عمر مليونِ مُتْرَفْ

* * *

فليقذفوك جميعاً
فأنتَ وحدك أقْذَفْ
سيتلفون، ويزكو
فيك الذي ليس يَتْلَفْ
لأنك الكل فرداً..
كيفيّةٌ، لا تُكَيَّفْ..

* * *

يا «مصطفى»، يا كتاباً
مِن كل قلب تألَّفْ
ويا زماناً سيأتي
يمحو الزمانَ المزَيَّفْ



«رواغ المصابيح»

(٥) أوجى: أكثر قطعاً.

مصطفى

(١) مطلع أغنية يمنية: «من سب أهيف مبرقع والعبيد اثنين».



القصيدة الوطن

ديوان " كائنات الشوق الآخر" أكتوبر ١٩٨٣

رغمَ احتجابكِ يا قصيدةُ أَرتجي
أن تُشرقي، وإليكِ منّي أَلتجي!
أَنْهـدُّ فيكِ لكي تكوني بُنْيتي
ولديكِ أنسى لَهجتي كي تَلْهجي

* * *

أبحرتُ من جَدَثي إليكِ لِتُبْحِري
وسبَقتُ ميعادي لكي تتبرَّجي
كي تُبدعي منّي سوايَ لأنَّني
ـ رغم اسميَ الحَرَكِيْ ـ مثَّى العَرْفَجي
ولذاكَ جئتُ إلى وضوحِك بعدَما
ميَّزتُ وجهَ حقيقتي من بَهْرجي

* * *

بستانُ وجهكِ يا قصيدةُ دَلَّني
أَتمانَعينَ الآنَ أن تَتأَرَّجي
إني اهتديتُ إلى خِبائكِ فافتحي
لي مَدْخلاً، أو حاولي أن تَخْرجي
هِدِّي سياجَكِ فَهْوَ زَيفُ توهُّم
يأبى الجموحُ عليكِ أن تتسيَّجي
شَبَقُ الصِّبا يحمرُّ في شفتيكِ.. في
ساقيكِ.. يصْهُلُ كالحصانِ اليَعْوَجي
ما أورقَتْ فيكِ الشَّراراتُ التي
لا تنطفي، إلاَّ لكي تَتَأَجَّجي
إنَّ الطفُورَ خيارُ قلبك قبل أن
تستجملي مسعاكِ، أو تستسْمجي
تخشينَ من غسق الظروفِ؟ خُرافَةٌ
ما احلولكَتْ إلاَّ لكي تتوهَّجي
قِمَمُ الهزائم بالظروف تَحَجَّجُوا
أَضَعُفْتِ بالعَدْوى لكي تَتَحجَّجي؟!
أنتِ الظروفُ جميعُها، فتزنَّري
بالأُمسياتِ، وبالصَّباحِ تَدمْلجي
كالصّيفِ أَذْكي مقلتيكِ وأمطِري
كدُجى الخريف، وكالربيعِ تَعَسْلَجي[1]

* * *

أيخيفُكِ التَّهريجُ؟ هذا قَصْدُهُ
كي لا تخافي.. غرِّدي أو هرِّجي!
دِلِّي عليكِ بنارِ قلبكِ كلِّه
لن يَسْقُطَ الإزعاجُ حتَّى تُزْعِجي
لن تُحْرِقي غَسَقاً إذا لم تَحْرِقي
لن تُنْضِجي طَبَقاً، إذا لم تَنْضَجِي

* * *

أزعمتِ نومَ البَوْحِ فيكِ سياسَةً؟
إنَّ احتمالَ الصَّمتِ موتٌ سَجْسَجي![2]
ما أنتِ يا بنتَ الأزِقَّةِ والرُّبى
كالعابثاتِ، ولا هواكِ بَنَفْسَجِي
لا أنتِ عاشقةُ الهروبِ، ولا أَنا،
بِسُوى التَّهرُّبِ والسكوتِ تَأَدْلَجِي

* * *

أَتَرَيْنَني في بابِ خدْرِكِ باحثاً
عن موطني؟. أرجوكِ لا تتفرَّجي
قولي لمعتسِفي طريقَكِ: هاهُنا
تصميمُ قافلتي، وهذا منهجي

* * *

تدرين مأساتي؟ نَفَاني مَنْ هَجَا
نَسَبي، ومن نفخ الغرورَ المَذْحجي
من هجَّنوا نسبي لأني (حائِكٌ)
مثل الأُلى سخروا، لأني (عَرْبَجي)!

* * *

والآنَ: حُوكِيني لأصبحَ حائكاً
مَنْ سوفَ يَغْزِلُني إذا لم تَنْسُجي
لم يبقَ غيرُكِ يا قصيدةُ موئلاً
وأخافُ مِنْ أَن تُنْجِدي أو تُخْلِجي!!

إلاّ أنا وبلادي

ديوان "لعينيّ إم بلقيس" ديسمبر ١٩٦٩

تسلياتي كموجعات، وزادي
مثل جوعي، وهجعتي كسهادي
وكؤوسي مريرة مثل صحوي
وإجتماعي بإخوتي كإنفرادي
والصداقات كالعداوات تؤذي
فسواءٌ مَن تصطفي أو تعادي

* * *

إن داري كغربتي في المنافي
واحتراقي كذكريات رمادي
يا بلادي! التي يقولون عنها:
منك ناري ولي دخان اتقادي
ذاك حظي لأن أمي (سعود)[1]
وأبي (مرشد) وخالي (قمادي)[2]
أو لأني أطعمتُ أولاد جاري
ورفاقي دفاتري ومدادي
أو لأني دفعتُ عن طُهر أختي
وبناتي مكر الذِئاب العوادي
أو لأني زعمت أن لديهم
لي حقوقاً من قبل حق (ابن هادي)[3]

* * *

يا بلادي هذي الربى والسواقي
في ضلوعي تنهداتٌ شوادي
إنما من أنا وليس بكفي
مدفع والتراب بعض امتدادي!
ربما كنت فارساً لست أدري
قبل بدءِ المجال مات جوادي

* * *

العصافير في عروقي جياع
والدوالي والقمح في كل وادي
في حقولي ما في سواها ولكن
باعت الأرضَ في شراء السماد

* * *

يا ندى.. يا حنان أم الدوالي:
وبرغمي يجيب من لا أنادي!!
هذه كلُّها بلادي.. وفيها
كل شيء.. إِلا أنا وبلادي!!

القصيدة الوطن

(١) تعسلجت الشجرة: طالت أغصانها وتمايلت.

(٢) السجسج: الجو المعتدل

إلاّ أنا وبلادي

(١) (سعود): أسم نسائي في الريف اليمني.

(٢) (قمادي): عائلة يمنية كبيرة توارثت الفقر.

(٣) (حق بن هادي): مصطلح للرشوة.

صنعاء.. في فندق أمويّ

ديوان "زمان بلا نوعية" أكتوبر ١٩٧٧

توهَّمْتُ أني غبت هذه الروعى
فمن أين جاءت تسحر الغرفة الصرعى؟
تهامسني في كل شيءٍ.. تقول لي:
إلى أين عني راحل؟. خفف المسعى

***

ومَن هذه الروعى؟ أظن وأمتري
وأدري.. ويُنسيني لظىً داخلي أقعى
أما هذه (صنعاء)؟، نعم إنها هنا
بطلعتها الجذلى، بقامتها الفرعا
بخضرتها الكحلى، بنكهة بَوحِها
بريّا روابيها، بعطرية المرعى

***

أما كنتِ في قلبي حضوراً على النَّوى؟
ولكن حضور القرب عند الأسى أدعى
سهرتُ وإيّاها نهدٌ ونبتني
ومن جذرها نُفني المؤامرة الشنعا
أصوغ وإياها ولادة (يحصب)
أغني وإيّاها: (أيا بارق الجرعا)
نطير إلى الآتي ونخشى غيوبَهُ
نفرّ من الماضي، ونهفو إلى الرُجعى
ومن جمر عينيها أشب قصيدةً
ومن جبهتي تمتص رنّاتها الوجعى

***

طلبت فطور اثنين: قالوا بأنني
وحيدٌ.. فقلت اثنين، إن معي (صنعا)
أكلت وإياها رغيفاً ونشرةً
هنا أكلَتنا هذه النشرةُ الأفعى
وكانت لألحاظ الزوايا غرابةٌ
وكانت تدير السقف، إغماءةٌ صلعا

***

ضبابية الأخبار، تدرين سرّها؟
أتُصغي؟ ومَن منّا بمأساتنا أوعى؟
يُعزّوننا من كل بوقٍ كأنهم
لحب الضحايا، من سكاكينهم أرعى

***

زمانٌ بلا نوعية، ساق ويلُه
متاخيمَ، يقتاتون أفئدة الجوعى
لماذا أنا منعى المحبين والعدا؟
لكي يُصبح القُتّال قتلى بِلى منعى

أنا والشعر

ديوان "من أرض بلقيس"

هاتي التآويهَ يا قيثارتي هاتي
وردّدي من وراء الليل آهاتي
وترجمي صوت حبّي للجمال ففي
نجواك ـ يا حلوة النجوى ـ صباباتي
قيثارتي صوتُ أعماقي عصرتُ بها
روحي وأفرغتُ في أوتارها ذاتي

***

قيثارتي أنت أمّ الشعر لم تلدي
إلاّ غِنا الخُلد أو لحنَ البُطولات
أودعتُ نجواك آياتِ النبوغ فيا
قيثارتي لقّني التاريخ آياتي
وغرّدي بخيالاتي العِذابِ فما
حقيقة السحر إلاّ من خيالاتي
وشاعر الطبع موسيقى الغيوب إذا
غنّى أرى الأرضَ أسرار السموات
قيثارتي إنني ابْن الشعر أنجبني
للخلد، للعبقريات الفتيّات
وللحياة وللدنيا ونضرتها
للحبّ للنّور للزُّهر الصَّبيّات

***

وحدي مع الشعر هزّتني عواطفه
فرقّصت عِطفَه النّشوانَ رنّاتي
وشفَّ لي خافيَ الدّنيا وألهمني
سحر الجمال وأسرارَ الجلالات
وهبت للشعر إحساسي وعاطفتي
وذكرياتي وترنيمي وأنّاتي
فهو ابتسامي ودمعي وهو تسليتي
وفرحتي وهو آلامي ولذّاتي
يفنى الفَنا! وأنا والشعر أغنيةٌ
على فم الخُلد يا رغم الفنا العاتي
أحيا مع الشعر يشدو بي وأُنْشِدُهُ
والخلدُ غاياته القصوى وغاياتي



زمان بلا نوعيّة

ديوان "زمان بلا نوعيّة" ١٩٧٧

أنوي أعبّ الكأس، يدنو شهيدْ
يصدّني، أنوي، ينادي فقيدْ
يباغت الرعب الذي لم يعِد
فيبعد الأدنى، ويدنو البعيد
تجيء كالأرماح، أيدي الربى
ترتد أوجاعاً حنيناً شريد
تأتي حصى الأجداث، ترنو كما
يرنو إلى المقتول، قتلٌ جديد

***

الكأس تمسي في يدِي أيدياً
ملامحاً، أعرفها، أستعيد
هذا قذالٌ مدَّه (ماربٌ)
وذاك وجهٌ، لوَّحته (زبيد)
هذا محيًّا (مرشدٍ) هذه
بنان (مسعودٍ) ذراعا (سعيدْ)
هذا جبين (الآنسي) هذه
أهداب (سعدٍ) أنف (عبد الحميد)
كانوا فُرادى، فالتقوا في الردى
لكي أرى الموت الحبيب الوحيد

***

يا كأس هل أحسو؟ حذار احترقْ
إشرب إلى أن تنطفي يا بليد
لا ترتشفْها، لستَ من أهلها
ذقها، إلى كم أنت صادٍ وحيد
تخضرّ في كفّيْ، كجمر الهوى
تحمرّ كالسكين، فوق الوريد

صنعاء.. في فندق أموي

ذيل للقصيدة السابقة:

وردت في البيت الثاني عبارة (خفف المسعى) وهي إشارة إلى قصيدة عبد الرحمن الآنسي، أصبحت أغنية:

عن ساكني صنعا حديثك هات وافوج النسيم
وخفف المسعى وقف كي يفهم القلب الكليم

وفي البيت الثامن عبارة (أيا بارق الجرعى) وهو مطلع قصيدة لابن إسحق، أصبحت أغنية:

أيا بارق الجرعى هل الجزع ممطورُ
وهل بالغواني ذلك السفح معمور



تـعـرى إلـى سِـرَّتـهـا، تـرتـدي
كهفين، تبدو ذات أصل مَجيد
تـهـتـز كـالـعنقـود، تـدعو فـمي
تـفـتـرّ، خـذ يـا جـرَّةً مِـن جليدْ

* * *

فـتـغـتـلـي فـي داخلـي (كـربلا)
نصفي حسينيٌّ، ونصف يزيد
أمشـي كـجـيـدٍ وحـده لـحـظـةً
ولـحظـةً، رأسين مِن غير جيد

* * *

يا كأس لا أسوى جناك ابعُدي
إني ـ كما تحكين ـ وغدٌ عنيد
أريـــد مـــاذا؟ يـــا زمـــانـــاً بـــلا
نـوعـيـة، لـم يـدرِ مـاذا يـريـد
يــدلُّ فِــخــذاه يــديــهِ، يــرى
أخشاب عـيـنـيـهِ بأذني (لَبِيد)
بـلا أبٍ يـبـدو، بـلا ابـنٍ وفـي
عينيه يدمى باحثاً عن حفيد
يمضي ولا يمضي، ويأتي ولا
يـأتـي، ويـولّي ثـم يـبـدو وَلـيـدْ
تـقـول يعطي كـل شيءٍ؟ نعم
لكن أعِندَ الزيف شيء مفيد؟

* * *

ماذا جرى؟ عهد «الرشيد» انتهى
واحتلّ (مسرورٌ) محل (الرشيد)
حلّت محل القبضتين العصى
كانت عصىً، صارت يداً مِن حديد

* * *

والآن باسم الشعب، عنه نرى
نُـحـيي بـقـانـونٍ، بـثـانٍ نُـبـيـد
نــغــيِّــر الألــوان، هــذا بــذا
نستبدل الأعياد، عيداً بعيد
هـــذا قـــرارٌ مـــا لـــه ســـابـــقٌ
مِن نوعه، مِن كل نوعٍ فريد

* * *

وقتا، وتعتاد الجماهير مَن
جاءوا، وتنسى كلمات النشيدْ
تـرى كـأحـلام، بـلا أعـيـنٍ
كـأعـيـنٍ فـي وجـه حُـلـم بـديـد

* * *

يـتـلـو نـبـوءات الـقـبـور الصـدى
يَـمِيع كـالـملـح العرين الشديد
تـمشي الـبـراكـيـن بـلا ضـجَّـةٍ
ويـحـرق الـثـلـجَ الـغـبـارُ الـزهـيـد

* * *

هـل جدَّ شـيءٌ؟ غير أن الـمنى
كانت وعوداً، فاستحالت وعيد
وكـان يـدري الـعـبـد مـأسـاتُـهُ
واليوم لا تدري، عبيد العبيد
لأن مـــن قـــامـــوا بـــلا قـــامـــة
عن أمر مَن قاموا؟ يعيش القعيد!

* * *

تَـجَـذْرن الـتـأريـخ، بـاع اسـمـهُ
أضاعت الأشاعرُ، بيت القصيدْ
لِـمْ لا أعبُّ الـكـأس كـالـغـيـر؟
ما جدوى احتراقي؟ أين عني أحيد؟

* * *

ألـتـفّ مِن نفسي بنفسي هنا
هناك أعرى كالزُقّاقْ المديد
كـبـاب مـقـهـى، كـمـنـى أسـرةٍ
مِن ثلث قرنٍ، في انتظار البريد

* * *

تـمـتـدّ فـوقـي سـاحـةٌ مِـن مُـدىً
ينجرّ تحتي، شارع مِن صديد
يـا كـأس لـو تُـنْـسـيـنـني أشـتـفـي
هـذا أكـيـدٌ، كـل سـوءٍ أكـيـد

توابيت الهزيع الثالث

ديوان "جوّاب العصور"

هناك رأوْهُ فوق (نقيل يَسْلِحْ)[1]
طريحاً مِن وراء الصمت يُفصِحْ
يـكـاد يـقـوم يـحـتـضـن الـمـحـيِّـي
ويـخـتـرق الـكـوابـح والـمـكـبِّـحْ
ويـطـلـع كـرمـةً مـن كـل صـخـرٍ
تضاحكها النسائم أو تؤرجحْ
يقول ولا يقول، يشي ويُشجي
يصـــرِّح بـــالأهـــمِّ ولا يُـــصـــرِّحْ

* * *

يَـنُـثُّ تـهـاجسُ الأعشاب عنهُ
ويـخـفـق مـثـل أخـيـلـةٍ تـلـوِّحْ
تُـحـدِّثُ عـنـه رابـيـةٌ نـسـيـمـاً
مَـشَـمُّ الـورد أزكـى إذ يصـوِّحْ
أريـدُ أطـيـرُ أخْـبـرُ عـنـهُ مَـن ذا
يـريِّـش قـامـتـي أو مَـن يـجـنِّـحْ
أهـذا الـمـنـحـنـى عـنـه يـنـاجـي
وسـادتَـهُ الـكـسـيـرةَ أم يُـنـحـنِـحْ؟

* * *

تـمـد إلـيـه أمُّ الصـبـح كـفّـاً
لـتـقـرأ كـفَّـه ويـداً تـوشِّـحْ
تسـرِّح فـيـه عـيـنـيـهـا وتـغـضـي
فـيـهـتـف قـلـبـهـا فـيـمـن تسـرِّحْ

* * *

تـغـوص كـنـاقـدٍ يـتـلـو كـتـابـاً
ربـيـعـيَّ الـمـؤلِّـف والـمـنـقِّـحْ

زمان بلا نوعيّة

ذيل على القصيدة السابقة:

في البيت الـ١٦ [مَأرِب] من المناطق الشرقية الشمالية، يغلب على أهلها طول القامة والنحول، وكانوا إلى قبل عشرين عاماً من البدو الرحل والمزارعين الفقراء، [زَبِيد] مدينة في لواء تهامه معروفة بشدة الحر، ذات تأريخ علمي وأدبي.

في البيتين التاليين لهذا البيت وردت أسماء (كمرشد والآنسي) ليست عَلمية لأشخاص مُعيَّنين وإنما أمثال عامة.

في البيت الـ١٩ [لبيد] شاعر جاهلي إسلامي، أصيب في آخر عمره بالصمم كما عبَّر عن هذا الحال:

إن الثمانين - وبُلّغتها
قد أحوجَت سمعي إلى ترجمان

توابيت الهزيع الثالث

(١) نقيل يسلح: تل تمر عليه السيارات المغادرة من صنعاء والوافدة إليها من الماطق الوسطى يبعد عن صنعاء (٤٩) كيلومتراً.

وتسأل: يا أنا أأرى فلاناً
قتيلاً، لا تبتُّ ولا ترجِّحْ
ومَن هذان حوليه أقتْلى
ثلاثتهم؟ لماذا؟ مَن يوضِّح؟
لهم أرَجٌ كأفراح الصبايا
وسرٌّ ربما يُعيي المشرِّحْ

* * *

تكلم يا غموضُ، هنا رَمَوْهُمْ
وعادوا قبل حَوْقلةِ المُسَبِّحْ
لهم أيدٍ كأدغال البغايا
وجوهٌ مثل مزبلة تُفوِّحْ
توابيتٌ لها شبقٌ، تأنّى
بها النَّجار وانخدع المُصَفِّحْ
ضحايا غيرِهمْ يسطون عنهُ
فكيف يحسُّ مذبوح يذبِّحْ؟

* * *

ترى غطَّوْا ملامحه ليخفى؟
فكيف إلى أكُفِّهُمُ يُلمِّحْ؟
أظنّوا الخنق لا تلطيخ فيهِ
فمن يمحو الجريمةَ أو يُمَسِّحْ؟
فقال بلا فم، أدراجُ قلبي
خوافٍ أيَّ أغْلَقَها أفتِّحْ
وحكَّ جبينه ودنا ليفضي
فهدَّج همسَه الوجعُ المُبَرِّحْ

* * *

أيا (وعْلانُ) قلْ: أمسوْا بصنعا
أمَنْ يمسي بصنعا ليس يُصبحْ[٢]؟
أتوا مِن قبل أسبوع أمامي
كحقل سفرجلٍ يُشذي ويُفرِحْ
فقال صدىً أحطُّ القتلُ وجهاً
وكفّاً مقتلُ السِّربِ المروِّحْ
أنادي يا (خِدارُ) يجيب عنها
نواحٌ صامتٌ وشجىً يُنوِّحْ[٣]
: أأشهد كل أمسية طريحاً
بلا روحٍ، ولا أضعُ المُطَرِّحْ؟

* * *

أما انتهت الحروب تقول هذا
مؤامرة المزعَّم والمسَلَّحْ؟
بغير يديه داعي السِّلم يردي
ويدعو مَن أناب أجلَّ مُصْلِحْ
رأى الثوراتِ غلطةَ كلِّ شعبٍ
فنصَّب كل قتّالٍ يصحِّحْ
إذا سكتوا زَقا الإسكات عنهمْ
وإن نبحوا فقلْ أمَرَ المُنَبِّحْ

* * *

يصوغ المسرحيَّةَ كل يوم
ويبدو شاهداً وهو المُمَسْرِحْ
يرى اليوم التعدُّدَ بدءِ شوط
فهل سوقُ التَّفرُّدِ غيرُ مُرْبِحْ
ويدعو الانتخابَ الحرَّ أرضى
ويعطي الأغلبية مَن يرشِّحْ
أليس هو المثلِّثُ والمثنِّي
وملعبهُ المفشِّلُ والمنجِّحْ
لهذا ينثني الأنقى هزيماً
ومتَّسخُ اليدين عليه يُفلِحْ
وأنت عليك أن ترضاه حُرّاً
وإلا لستَ حُرّاً أن تصيِّحْ
لأن أبا القوى يختار حكْماً
يُطَبِّقُ لا يحسِّن أو يُقبِّحْ

* * *

أخَمِّنُ بعد هذا الوقت وقتاً
أرومُ قياده يأبى ويُسمِحْ
تعلَّلْ لست وحدك كم تلاقي
قريحاً لا يكُفُّ يدَ المقرِّحْ؟
ومَن ذا يقتدي بالعجز لم لا
أزحزحُ منه عني ما أزحزحْ؟
أعِنِّي أو أشحْ عني أيأبى
كسيحُ النفس إلا أن يكسِّحْ
حماقة ذو القوى أقوى عليهِ
وأقْتلُ للتبجُّحِ المُبجِّحْ

* * *

ترى ما في بلادي في سواها
أترضى الجرح إن عَظُمَ المجرِّحْ؟
أيجدي الشعبَ أنَّ له شبيهاً
وأن هناك مثلُ (نقيل يَسْلِحْ)؟

عرّافة الكهف

ديوان "جوّاب العصور" ١٩٩١

يا آخرَ الليل، يا بَدْءَ الذي يأتي
هل سوف تصحو التي، أم تهجع اللاتي؟
أسْحَرتَ في منكبَيْ سهلٍ يُساكنني
عظمي، أتُصغي إليَّ أسمار جدّاتي؟
رفقاً بلمس حصاهُ، إنها حُرَقي
وتلك أعشابه الكحلى بُنَيَّاتي
أما بخديكَ من أنفاسه قُبَلٌ
كنبْسِ أمّي، تحاكي بدءَ لثغاتي؟

* * *

في غور عينيك بدءٌ لا ابتداء لهُ
خذني أمُتْ فيه، بحثاً عن براءاتي
عن ريش أولِ عصفورٍ هناك زقا
وشمَّ منقارُه مولاةَ مولاتي
عليكَ عِمَّةُ قنّاتٍ تهشُّ بها
وفي ردائك ضاحٍ غيرُ قنّاتِ

* * *

هذا الهشيم الذي قيل اسمهُ شبحي
تدري لماذا يمنِّيني بإنباتي؟
وبامبلاجِ شروقي خالعاً زمني
وتحت إبطي كتابٌ عن بداياتي
ناديتُ صبحاً يلي صبحاً هنا وهنا
ظلَّتْ تُلبِّي نداءاتي، نداءاتي

* * *

يا آخرَ الليل لو ناديتُ مقبرةً
قالت: هناكَ انتبذْ أقلقتَ أمواتي
لأنَّ بيتَ أحبائي يُقوِّلُني
القحط يمتد مِن قوتي إلى قاتي
هذي يدي أوشكتْ تنسى طريق فمي
أصبحَ يصخبُ شيءٌ غيرُ أصواتي

* * *

ألستَ يا الشفق الثاني تحسُّ معي
طفولةَ ابن الندى، إحدى حبيباتي
تلوح غير الذي بالأمس مرَّ وما
قال السَّنى: مَرَّ صبحٌ أو دُجىً شاتي

* * *

كان المكان زمانياً بلا زمن
قال الفراغُ: هنا أهلي وأبياتي
مَن ذا هنا يا (سهيلُ)؟ قال: أين أنا
مَن يا ضحى؟ قال: من ذا احتاز مرآتي؟
أما تلمَّحتَ حيناً ما لمستُ أنا؟
بل ضعتُ بين التفاتاتي ولفّاتي

* * *

هل أنتَ منك ستأتي؟ لو ملكتُ يدي
لكي أصوغَ قُبَيلَ البدءِ ميقاتي
أحلى الثواني التي تحدوك حمرتُها
لها احمراري، وللأخرى صباباتي

* * *

تَرى أيعييكَ مثلي حَمْلُ جمجمتي؟
هل في طواياك نيّاتٌ كنيّاتي؟
يقال: بيتاك في إبطَيْ دجىً وضحىً
بيتي الذي سوف أبني هادمٌ ذاتي
وأين تبني؟ وهل في الأرض زاويةٌ
إلا وأصبى خباياها صديقاتي

* * *

ماذا تُغمغم كالنهر الجريح؟ متى
ستنفث الكبتَ؟ كي أجتاز كَبّاتي
قلْ أيَّ شيءٍ، ولكن لا تقلْ كأبي:
دعني فلا ناقتي فيها ولا شاتي
هل في لسانك أم في مسمعي حجرٌ
أم تَرْجَمَ الصمتُ إنصاتي لإنصاتي؟
كم قيل أفْصَحَ صبحٌ وانجلتْ شُبَهٌ
يكفيكَ عصيان قلبي أمْرَ إسكاتي

* * *

عرَّافةُ الكهف قالت: لي مفاجأةٌ
قلتُ: اهبطي، وخذيني الآن أو هاتي
على اسمها بتُّ أطهو نجمةً لغدي
ماذا سأفعلُ لو أنهيتُ مأساتي؟

* * *

اليوم يا ابْني تُوافي كلُّ ثانيةٍ
بعكس ما بشَّرت قلبي نبوءاتي
قبل التوقُّع ينصبُّ الوقوعُ، ولا
تحسُّ أهْوَ رذاذٌ أم لظىً عاتي؟

* * *

توابيت الهزيع الثالث

(٢) وعلان: قرية بين نقيل يسلح وصنعاء.

(٣) خدار: قرية بين وعلان ونقيل يسلح.

يا أولَ الصبح ، لي عند الضحى خبَرٌ
وأخرياتُ الدجى برهانُ إثباتي
عرَّافةُ الكهف قالت: كلُّ آتيةٍ
تمضي ، وتأتي ولا تمضي خرافاتي
كالبحر يأتي إليهِ منه مُرتحلاً
فيهِ ، كذا تحمل السبّاح موجاتي

* * *

والآنَ ماذا؟ تزوَّجْ أمَّ والدتي
جدَّاتُ جدّاتِها الخمسون زوجاتي
والآن يا يومُ ، ها أنتَ انتصفتَ فهلْ
خمَّنْتَ مما مضى ، ما مطلعُ الآتي؟

لص في منزل شاعر

ديوان "مدينة الغد" نوفمبر ١٩٦٦

شكراً ، دخلت بلا إثارة
وبلا طفور ، أو غَرارهْ
لما أغرت خنقت في
رجليك ضوضاء الإغاره
لَمْ تسلب الطين السكون ،
ولم تَرُعْ نوم الحجاره
كالطيف ، جئت بلا خطيً
وبلا صدىً ، وبلا إشاره
أرأيت هذا البيت قز
ماً ، لا يكلفك المهاره؟
فأتيته ، ترجو الغنا
ئم ، وهو أعرى من مغاره

* * *

ماذا وجدت سوى الفراغ
وهرَّةً تَشْتَمُّ فاره
ولهاث صعلوك الحروف
يَصوغ ، من دمه العباره
يطفي التوقد باللظي
ينسى المرارةَ ، بالمراره
لم يبقِ في كوب الأسى
شيئاً حساه إلى القراره

* * *

ماذا؟ أتلقى عند صعلو
ك البيوت غنى الإماره
يا لصُّ ، عفوَ إن رجعت
بدون ربح ، أو خساره
لم تلقَ إلا خيبةً
ونسيت صندوق السجاره
شكراً ، أتنوي أن تشرفنا ، بتكرار الزياره!؟

السفر إلى الأيام الخضر

ديوان "السفر إلى الأيام الخضر" أغسطس ١٩٧٤

يا رفاقي . . إن أحزنت أغنياتي
فالمآسي . . حياتكم وحياتي
إن همت أحرفي دما فلأني
يمني المداد . . قلبي دواتي
أمضغ القات كي أبيت حزينا
والقوافي تهمي أسى غير قاتي
أنا أعطي ما تمنحون احتراقي
فالمرارات بذركم ونباتي
غير أني ـ ومدية الموت عطشى
في وريدي ـ أشدو فأُلغي وفاتي
فاذا جئت مُبكيا فلأني
جئتكم من مماتكم ومماتي
عارياً . . ما استعرتُ غير جبيني
شاحباً . . ما حملتُ غير سماتي
جائعاً .. من صدى (ابن علوان) خبزي
ظامئاً من ذبول (أروى) سُقاتي

* * *

ربما أشتهي وأُنعِل خطوي
كلَّ قصرٍ يومي إليكَ فُتاتي
أقسم الجد . . لو أكلنا بثدي
لقمة من يد . . أكلتُ بناتي[1]

* * *

قد تقولون ذاتيَ الحس . . لكن
أيَ شيء أحس . . ؟ من أين ذاتي؟
كل هذا الركام جلد عظامي
فإلى أين من يديه انفلاتي؟
يحتسي من رماد عينيه لمحي
يرتدي ظل ربكتيه التفاتي
تحت سكِّينه تناءى اجتماعي
وإلى شدقه تلاقى شتاتي
آخر الليل . . أول الصبح . . لكن
هل أحست نهودها أمسياتي؟

* * *

هل أداري أحلامكم فأغني؟
للأزاهير والليالي شَواتي . .
عندما يُزهر الهشيم سأدعو:
يا كؤوس الشذى خذيني وهاتي

* * *

الشتاء الذي سيندى عقيقاً
يبتدي موسم الورود اللواتي . .
ليس قصدي أن تيأسوا لخطاكم
قصة من دم الصخور العواتي

* * *

يا رفاقي في كل مكسر غصن
ـ إن توالى الندى ـ ربيع ، مواتي
يرحل النبع للرفيف ويفنى
وهو يوصي: تسنبلي يا رفاتي
والروابي يهجسن: في ما وقوفي
ها هنا يا مدى . . سأرمي ثباتي؟
سوف تأتي أيامنا الخضر لكن
كي ترانا نجيؤها قبل تأتي

السفر إلى الأيام الخضر

(١) اشارة الى المثل الحميري: تموت الحرة جوعاً ولا تأكل بثديها.



لعيني أم بلقيس

ديوان "لعيني أم بلقيس" ١٥ نوفمبر ١٩٧٢

لـهـا أغـلـى حـبـيـبـاتـي
بـدايـاتـي . . وغـايـاتـي
لـهـا غـزوي وإرهـاقـي
لـهـا أزهـى فـتـوحـاتـي
وأسـفـاري إلـى الـمـاضـي
وإبـحـاري إلـى الآتـي
لـعـيـنـي (أم بـلـقـيس)
فـتـوحـاتـي ورايـاتـي
وأنـقـاضـي وأجـنـحـتـي
وأقـمـاري وغـيـمـاتـي
لـهـا تـلـويـح تـوديـعـي
لـهـا أشـواق أوبـاتـي
أشـرِّق وهـي قـدامـي
أُغـرِّب وهـي مـرآتـي
إلـيـهـا يـنـتـهـي روحـي
ومـنـهـا تـبـتـدي ذاتـي

* * *

أغـنـي . . وهـي أنـفـاسـي
وأسـكت وهـي إنـصـاتـي
وأظـمـأ . . وهـي إحـراقـي
وأحسـو . . وهـي كـاسـاتـي
أمـوت وحـبـهـا مـوتـي
وأحـيـا وهـي مـأسـاتـي

* * *

تـروِّيـنـي لـظـىً وهـوىً
وأشـدو ظـامـئـاً: هـاتـي
فـتـقـصـيـنـي كـعـادتـهـا
وأتـبـعـهـا كـعـاداتـي
وأغـزل مـن روايـحـهـا
مـجـاديـفـي ومـرسـاتـي
هـنـا وهـنـاك مـولاتـي
وأسـأل: أيـن مـولاتـي؟

* * *

أنـا فـيـهـا وأحـمـلـهـا
عـلـى أكـتـاف آهـاتـي
عـلـى أشـواق أشـواقـي
عـلـى ذرّات ذرّاتـي
وأذوي . . وهـي تـحـمـلـنـي
فـتـنـمـو فـي جـراحـاتـي
وأسـأل: أيـن ألـقـاهـا؟
فـتـغـلـي فـي صـبـابـاتـي
وتـرنـو مـن أسـى هـمـسـي
ومـن أحـزان أوقـاتـي
ومـن صـمـتـي كـتـمـثـالٍ
أشـكّـل وجـه نـحّـاتـي
وتـبـدو مـن شـذا غـزلـي
ومـن ضـحـكـات حـلـواتـي
ومـن نـظـرات جـيـرانـي
ومـن لـفـتـات جـاراتـي
ومـن أسـمـار أجـدادي
ومـن هـذيـان جـداتـي
ومـن أحـلام أطـفـالـي
ومـن أطـيـاف أمـواتـي

* * *

هـنـا مـيـلاد غـالـيـتـي
هـنـا تـاريـخـهـا الـعـاتـي
هـنـا تـمـتـد عـاريـة
وراء الـغـيـهـب الـشـاتـي
تـحـنّ إلـى الـغـد الأهـنـى
فـيـمـضـي قـبـل أن يـأتـي

فاتحة

يا صمت ما أحناك لو تستطيع
تـلـفّـنـي ، أو أنّـنـي أسـتـطـيعْ
لـكـنَّ شـيـئـاً داخـلـي يـلـتـظـي
فيخفق الثلج ، ويَظمى الرَّبيعْ
يبكي ، يغنّي ، يجتدي سامعاً
وهو المغنّي والصدى والسميع
يهذي فيجثو الليل في أضلعي
يشوي هزيعاً ، أو يدمّي هزيعْ
وتطبخُ الشُّهبُ رمادَ الضُّحى
وتطحن الرّيحُ عشايا الصَّقيعْ
ويـلـهـثُ الصـبـحُ كـمـهـجـورةٍ
يجتاح نهديها خيالُ الضَّجيعْ

* * *

شيءٌ يناغي ، داخلي يشتهي
يزقو ، يدوّي ، كالزحام الفظيعْ
يدعو ، كما يدعو نبيٌّ ، بلا
وعي ، وينجرُّ انجرارَ الخليعْ
فيغتلي خلف ذبولي فتيٌّ
ويجتدي شيخٌ ، ويبكي رضيعْ
يجوع حتى الصّيف ينسى الندي
ميعادَهُ ، يهمي شهيقُ النَّجيعْ
ويركض الوادي ، وتحبو الرُّبى
ويهرب المرعى ، ويَعْيى القطيعْ
ما ذلك الحمْل الذي يحتسي
خفقي ، ويعصي ذاهلاً أو يطيعْ
يشدو فترتدُّ ليالي الصبا
فجراً عنيداً ، أو أصيلاً وديعْ
وتحبل الأطياف تُجني الرؤي
ويولد الآتي ويحيا الصَّريعْ
فتبتدي الأشتات في أحرفي
ولادةً فَرْحَى ، وحملاً وجيعْ



فلسفة الجراح

ديوان "من أرض بلقيس"

متألّمٌ. ممّا أنا متألّمُ؟
حار السؤال، وأطرق المستفهمُ
ماذا أحس؟ وآه حزني بعضه
يشكو فأعرفه وبعضٌ مبهمُ
بي ما علمت من الأسى الدامي وبي
من حرقة الأعماق ما لا أعلم
بي من جراح الروح ما أدري وبي
أضعاف ما أدري وما أتوهّم
وكأنّ روحي شعلةٌ مجنونةٌ
تطغى فتضرمني بما تتضرم
وكأنّ قلبي في الضلوع جنازةٌ
أمشي بها وحدي وكلّي مأتم
أبكي فتبتسم الجراح من البكا
فكأنها في كلّ جارحةٍ فم

***

يا لابتسام الجرح كم أبكي وكم
ينساب فوق شفاهه الحمرا دم
أبداً أسير على الجراح وأنتهي
حيث ابتدأت فأين مني المختم
وأعارك الدنيا وأهوى صفوها
لكن كما يهوى الكلام الأبكم
وأبارك الأمّ الحياة لأنها
أمّي وحظّي من جناها العلقم
حرمانيَ الحرمان إلاّ أنّني
أهْذي بعاطفة الحياة وأحلم
والمرء إن أشقاه واقع شؤمهِ
بالغبن أسعده الخيال المنعم

***

وحدي أعيش على الهموم ووحدتي
باليأس مفعَمةٌ وجَوّي مفعمُ
لكنّني أهوى الهموم لأنها
فِكَرٌ أفسّر صمتها وأترجم
أهوى الحياة بخيرها وبشرّها
وأحبّ أبناء الحياة وأرحم
أصوغ «فلسفة الجراح» نشائداً
يشدو بها اللاّهي ويشجى المؤلَمُ.



أنسى أن أموت

ديوان " لعيني أم بلقيس" القاهرة: ١٩٧١

تَمتصُني أمواجُ هَذا الليل في شَرهٍ صَموتْ
وتُعِيد مَا بَدأت. . وتَنوي أن تَفُوت ولا تَفُوت
فَتُثير أوْجاعِي وتُرغِمني على وَجَعِ السكُوت
وتقول لي: مت أيها الذاوي. . فأنسى أن أموت

***

لكنَّ في صدري دجى الموتى وأحزان البيوت
ونشيج أيتام. . بلا مأوى. . بلا ماء وقوت
وكآبة الغيم الشتائي وارتجاف العنكوب
وأسىً بلا إسم. . وإختناقات بلا إسم أو نعوت

***

من ذا هنا؟ غير ازدحام الطين يهمس أو يصوت
غير الفراغ المنحني. . يذوي. . يصر على الثبوت
وتعبه الآحاد والجُمع العوانس والسبوت
ودم الخُطى والأعيُن الملآى بأشلاء الكبوت

***

من ذا هنا؟ غير الأسامي الصفر تصرخ في خفوت
غير انهيار الآدمية وارتفاع (البنكنوت)
وحدي ألوك صدى الرياح وأرتدي عري الخبوت

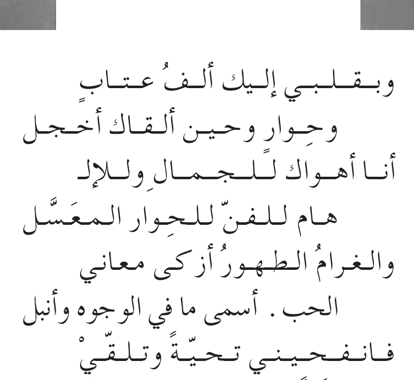




نار وقلب

ديوان "من أرض بلقيس"

يا ابْنة الحسن والجمال المدلّلْ
أنت أحلى من الجمال وأجملْ
وكأن الحياةَ فيكَ ابتسام
وكأن الخلودَ فيكَ مُمَثّل
كلّ حرفٍ من لفظك الحلو فردو
سٌ نديٌّ وسلسبيل مُسَلسَل(1)
كلّما قلت رفّ من فمك الفجرُ
وغنى الرّبيعُ بالعطر واخضلّ
أنت فجر معطّر وربيع
وأنا البلبلُ الكئيب المبَلبَل
أنت في كل نابضٍ من عروقي
وترٌ عاشقٌ ولحنٌ مُرتّل
كلّما استنطقتْ معانيك شعري
أرعد القلبُ بالنشيدِ وجلجل
وانتزفتُ اللّحونِ من غَورِ أغوا
رِي كأني أذوب من كلّ مَفْصَل
وأغنّيكِ والصباباتُ حولي
زُمَرٌ تحتسي قصيدي وتنهل
وأناجي هواك في مَعْرِض الأو
هام في شاطئ الظلام المسربَل
وفؤادي يحنّ في صدري الدا
مي كما حنّ في القيود المكبّل
وهواك الغضوبُ نار بلا نا
رِ وقلبي هو اللهيبُ المذلّل
أنت دنيا الجمال نمنمها السحر
فأغرى بها الجمالَ وأذهل
فتنةٌ أي فتنة هزّ قيثا
ري صباها ففاض بالسحر وانهلّ
تُسكر الكأسَ حين تُسكرها الكأ
س وتسقي الرحيقَ أحلى وأفضل
وفتون يهزّ شعري كما هزّ النّـ
ـسيمُ البليل زهراً مبلّل
وألاقيك في ضميري كما لاقى الـ
ـفمُ المستهامُ أشهى مُقَبّل
في دمي من هواك حمّى البراكـ
ـين العواتي وألفُ دنيا تزلزل



وبقلبي إليك ألفُ عتابٍ
وحِوار وحين ألقاك أخجل
أنا أهواك للجمال ولولا
هام للفنّ للحوار المعَسَّل
والغرامُ الطهور أزكى معاني
الحب. أسمى ما في الوجوه وأنبل
فانفحيني تحيّةً وتلقّيْ
نغَماً من جوانح الحب مُرسَل.

شتائيَّة

أَلبردُ أبردُ ما يكونْ
واللّيلُ أسهدُ ما يكونْ
وأشدُّ مِن شبقِ الرَّصاص،
ومِنْ غرابَاتِ المَنونْ

***

ماذا هُنا غيرَ الدُّجى المشبوه،
وحشيَّ السُّكونْ؟
يُبدي ثلاثةَ أوجهٍ
ويمدُّ آلافَ الذقونْ
كشيوخ (يأجوج)، كسيفِ
«الشِّمرِ»، كالسقفِ الهَتونْ

***

وكأنَّ كُلَّ دقيقة، تبدو
ملايينَ القرونْ
كلُّ الكواكبِ لا تدور
وكلُّ ثانيةٍ حَرونْ
وكأنَّ فوقَ مناكبِ
اللحظاتِ، جدرانُ السُّجونْ

***

ألبردُ يسترخي كأفيلة
حطيماتِ المُتون
ينسلُّ، يستشري، لهُ
في كلِّ زاويةٍ شؤونْ

***

ومفاصلُ الأكواخ ترسفُ
تحتَ أحذيةِ الغُبونْ
والحِلمُ يلبسُ مُديةً
والطَّيفُ يزفرُ كالأتُونْ
وهناكَ ترتجفُ الكُوى
وهنا يجولُ المُخبرونْ

***

فتموتُ (صنعا) وهي توقدُ
ـ فوقَ نهديْهَا ـ (النُّيونْ)
ويُقال: تولِمُ للرَّدى
وتصوغُ مِن دمِها الصُّحونْ

***

واللَّيلُ يبتدعُ التهاويلَ
الغريباتِ الفنونْ
ويرهِّلُ المذياعُ حشرجةً
يُسمِّيها اللُّحونْ
كهوى المراهق يغتلي
ويئِنُّ مثلَ (الحيزبون)(1)

***

والصمتُ يستقصي
كأسئلةٍ قريحاتِ الجُفونْ
وكمدمنٍ ضامٍ، عليهِ
لكلِّ خمَّارٍ ديونْ

***

تصفرُّ أوردةُ الرؤى
تسودُّ وسوسةُ الظُّنونْ
تثِبُ العيونُ بلا وجوهٍ
والوجوهُ بلا عيونْ
فتخافُ جُدرانُ المدينةِ
أن يَفيقَ الميِّتون
ألنَّومُ متَّهمٌ، ومُتَّهمٌ
سُهادُكَ يا جُنونْ
والحبُّ متَّهمٌ، ومتَّهمٌ
أسى القلبِ الحنونْ
والصوتُ يحترف الخيانة،
والسكوت كمن يخون
حتّى الجذورُ مُدانةٌ
بذنوبِ إنجابِ الغُصُون
حتَى الصخور، لأنَّها
كانت (لذي يزن) حُصونْ
حتى الذي كان احتلالاً
ملَّسوهُ بالسُّمون(2)
حتى الذي كان اسمهُ
عِنباً، تحوَّل زيزفونْ

***

نار وقلب

(1) السلسبيل: الخمر، واللين الذي لا خشونه فيه.

شتائيَّة

(1) الحيزبون: العجوز.

(2) ملّسوه: عبارة عن تليين الشيء القاسي بمادة محبوبة لابتلاعه، والسمون: جمع سمن.

يا خدعةَ التَّشكيل أمسى
كلٌّ رأس (بنطلونْ)
يا بردَ (كافاتٍ الحريري[٣])
لا يراها الطيِّبونْ
غارت أساريرُ المُنَى
وتَجَلْمَدَتْ فيها الغُضونْ
واللَّيلُ مستلق كماخورٍ
يُنقِّرُ عن (زبونْ)
كخرابة شعثا أناخت
فوقَ أعظُمِها السُّنونْ

* * *

يا قلبُ هل تَدَعِ الطُّفور؟
وأين تمضي بالشجونْ؟
للشوقِ شوقٌ في حشاهُ
وللمُنى وجهٌ مصونْ
ما دام لي شوق، له
وجهٌ، فإنَّ له بطونْ
لِهواه ألفا زوجةٍ
ولكُلِّ واحدةٍ بَنونْ

* * *

كيف اكتشفتَ؟ قرأتُ
أسرارَ المغاورِ والحُزونْ
لي موطنٌ، لا ذرةٌ فيهِ
على الأُخرى تَهونْ

* * *

الأرضُ نفسُ الأرضِ
لكنَّ الجحيمَ الآخَرونْ
أَلسجنْ لِصقُ السجنِ
لِصقُ المكرفون المكرَفونْ
لا تكترثْ، يقعُ الذي
لا يدَّعي المستطلعونْ
من أيٍّ نبعٍ أنتَ؟
من ياءٍ، ومن ميمٍ، ونونْ

* * *

للقلبِ ـ يا ديجورُ ـ قلبٌ
مِنْ أساطيرِ الفُتونْ
لن يَعدِمَ الأرق النجومَ
ولن ينام العاشقونْ





بين الجِدَارِ.. وجِدَار

أغسطس ١٩٧٧ م

هذا الجدارُ يقولُ لي. ويَعِي
هَمْسي، ويُصغي للرِّياحِ معي
يرنو إليَّ، كصمتِ مملكةٍ...
للطَّيفِ تهمسُ: ماتَ مُجْتَمَعي
ويشمُّ مأساةً تُقَطِّعني
وأشمُّ في مأساتِهِ قِطَعي
يحكي بلا صوتٍ، وأسمعُهُ
أَهْذي وأصمتُ، وهو مُسْتَمِعي
يبكي كما أبكي، يُساهرُني
أغفو، رؤى عينَيْهِ مُضطجَعي

* * *

مِنْ أينَ جِئنا يا جدارُ؟ أنا
منكَ انبثقتُ، وجئتَ مِنْ وجَعي
أورقتُ في نجواكَ جَمْرَ هوًى
وهجستُ كالميعادِ في ولَعي

* * *

وهُنا التقينا، كنتَ مُصْطَنَعاً
وأنا كَلا شيءٍ، كَمُصْطَنِعي
مَسْعاكَ لا صحوٌ ولا مَطَرٌ
والعقمُ مُصْطَافي، ومُرْتَبَعِي
أمضي... خيولُ الأمسِ تسبقُني
أعيا الوصولَ، وضاعَ مُرْتَجَعِي

* * *

أتخافُ مثلي يا جدارُ؟ ولا
تدري، وأبدو لا أعي فَزَعي
كالنَّاسِ أنتَ؟ ولا يَرَى أحدٌ
تَوْقِي إلى رِيِّي، إلى شَبَعي

* * *

مِنْ كلِّ خاوٍ صُغْتَني، وكَما
أنْبَتَّني، أثمرتُ مُبْتَدِعي
أَوَ ما اقتلعْتَ مِنْ البلى مِزقي؟
وهتفتَ: يا كَسْلى هُنا انزَرِعي
ياهذهِ عَنْ أُختكِ ابْتعدي
يا تلْكَ عَنْ عمَّاتك انْتَزعي
يا ساقُ أَصبحْ جبهة ويداً
يا ظهرُ إبطنْ، يا يدُ انْقَطِعي
سَفْلَتَّ جُمْجِمَتي بخاصِرَتي
وركَمْتَ تَطْويلي بمُتَّسَعِي
ودَخَلْتَني أَصْبحْتُ مِنْ أَثَري
مثلي جداراً حزنهُ جَزَعِي

* * *

أَوَما اصْطَرَعْنا؟ لَمْ تَعُدْ طرفاً
بيني وبيني شبَّ مُصْطَرَعِي
ما كُنْتَ تَطْمَعُ قبلَ خَلْطَتِنا
واليوم تَحكي أنتَ عَنْ طَمَعي

* * *

أنتَ اخْتَرَعْتَ شَقاوَتي، وأنا
أبدعتُ في إقْلاقِ مُخْتَرِعي
شَكَّلْتَني بأجدِّ هندسة
ولَبِسْتَنِي كعباءةِ (البُرَعي)

* * *

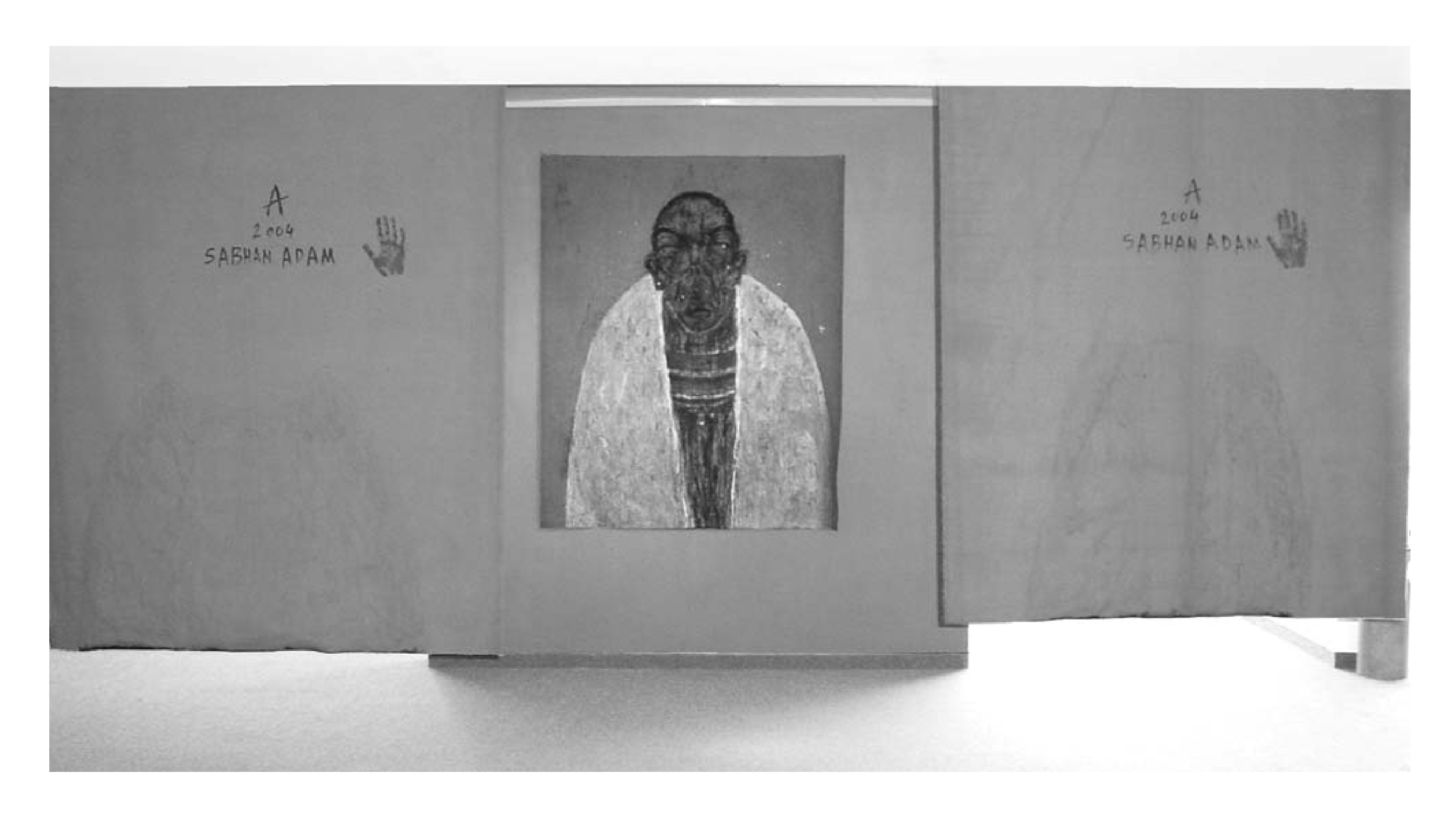
أترى سَقَطْنا؟ هل تَمتُّ إلى
راقٍ؟ أأَدْري أينَ مُرْتَفَعِي؟
ما زلتَ تذكر، أنني (نَخَعٌ)
ونسِيتَ سيفَ (الأشتَر النَّخَعِي)

شتائيَّة

(٣) (كافات الحريري) هي سبعُ كافات
اجتمعت في البيت الثاني من هذين البيتين:
جاء الشتاء وعندي مِن لوازمه
سبع اذا البرد في أجوائنا قرسا
كن وكيس وكانون وكأس طلّى
بعد الكباب وك... ناعم وكسا
وهي تدل على لوازم الشتاء عند المترفين.

بين الجدارِ.. وجدار

ذيل للقصيدة:
في المقطعين الأخيرين: (البرعي): هو شاعر متصوف إلى حد الدروَشة، عرف بعباءته الدهرية المهلهلة، كمتصوفة جيله من شعراء القرن الثالث عشر م. كما ورد (الأشتر النَّخعي): نسبة إلى منطقة نخع بوسط اليمن وهذا العلَم شهير بالبطولة القيادية، كان أشجع المحاربين بصفّين في معسكر الإمام علي، ودلالة الرمز بالعَلمين شفّافة من خلال التركيب.



بين الرجل والطريق

نوفمبر ١٩٧٥ م

كان رأسي في يَدي مثلَ اللُّفافَةْ
وأنا أمشي، كباعاتِ الصّحافَةْ
وأُنادي: يا ممراتُ، إلى أيـ
نَ تَنْجرُّ طَوابيرُ السَّخافهْ؟
يا براميلَ القمامات، إلى
أينَ تمضينَ. .؟ إلى دُورِ الثقافَةْ
كُلُّ برميل إلى الدُّور. .؟ نعم
وإلى المقهى. .؟ جواسيسُ الخلافَةْ
ثم ماذا. .؟ ورصيفٌ مثقلٌ
برصيفٍ. . يحسبُ الصَّمتَ حَصافَةْ

* * *

ههُنا قصفُ. . هنا يَهمي دمٌ
ربَّما سمَّوْهُ توريدَ اللَّطافَةْ
ما الذي. . ؟مَنْ أطلقَ النَّارَ؟. .سُدًى
زادتِ النيرانُ والقَتْلَى كَثَافَةْ
وزحامُ السُّوقِ يشْتَدُّ. . بلا
نظرةٍ عَجْلَى. . بلا أيِّ انْعِطافَةْ
لم يَعُدْ للقتلِ وقعٌ. .؟ رُبَّما
لمَ تعُد للشَّارِعِ الدَّاوِي رَهافَةْ
لا فضولٌ يرتَئِي. . لا خبرٌ
خيفةٌ كالأمن. . أَمْنٌ كالمَخافَةْ

* * *

ما الذي؟. . موتٌ بموتٍ يلتقِي
فوقَ موتي. .مَنْ رأى في ذا طَرافهْ؟
نهضَ الموتَى. . هوى مَنْ لَمْ يَمُتْ
كالنُّعاس الموتُ. .؟ لا شيءَ خُرافَةْ

* * *

يا عَشايا. . يا هُنا. . يا ريحُ. . مَنْ
يشْتَري رأسي، بحلقوم (الزَّرافَهْ)؟
بين رِجْلي وطريقي، جُثَّتي
بين كفِّي وفَمي، عنفُ المَسافَةْ
ألـمُحالُ الآنَ يَبْدُو غيرُهُ
كذَّبت (عرَّافةُ) (الجوف) العِرافَةْ
ههُنا أُلْقي حُطامِي. .؟ حسناً
رُبَّما تُلفت عمالَ النَّظافَةْ
ربَّما تسألُني مكنَسَةٌ. . ما أنا
أَوْ تزدري هذي الإضافَةْ

لها. . .

لتلكَ التي تَفنى وأخلقُ وجهَها
وأرفعُ نَهدَيْها وأُبدِعُ فاها
أذوبُ وأقسو كي أذوبَ لعلَّني
أُؤجِّجُ من تحتِ الثُّلوجِ صِباها
وأنسجُ للحرف الذي يستفزُّها
دمي أعيناً جمريَّة وشِفاها

* * *

أذُكِّرُها مرآتَها، عرقَ مأربٍ
وأنَّ لها فوق الجيوبِ جِباها
وأنَّ اسمَها بنتُ المُلوك وأنَّها
تبيعُ بأسواقِ الرَّقيق أباها
وأنَّ لها طيشَ الفتاةِ وأنَّها
عجوزٌ. . لعِنِّين تبيعُ هواها
أُغنِّي لِمَنْ؟. . للحلوةِ المُرَّةِ التي
أُبرعِمُ من حُزنِ الرَّمادِ شذاها
لِصنعا التي تُردي جميعَ ملوكِها
وتهوى وتَستجدي ملوكَ سِواها
لِصنعا التي تأتي وتَغربُ فجأةً
لتأتي ويجتازُ الغروبَ ضُحاها

بين الرجل والطريق

ذيل للقصيدة:

ـ في البيت الخامس عشر (عرافة الجوف) وهي ربعة بنت سنان، كانت تتهم النجوم إذا فشلت في تنبُّئها عن المستقبل.

ضائع في المدينة

١٩٦٩/٤/٢٥

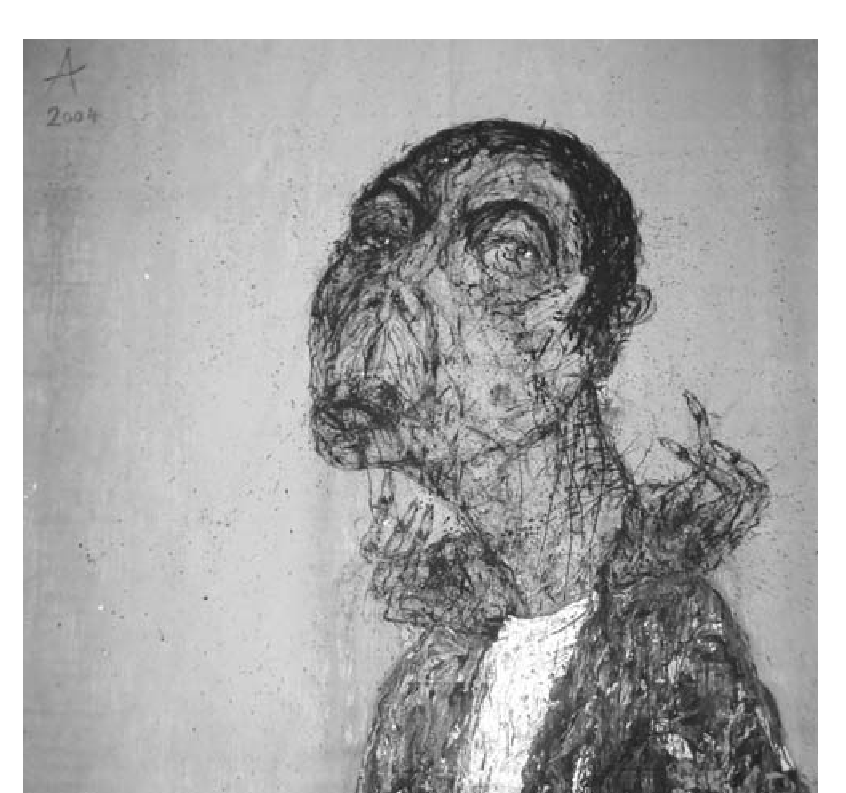
سوفَ أبكي ولَنْ يُغيِّرَ دَمعي
أيَّ شيءٍ من وضع غيري وَوَضْعي
هَلْ هُنَا أو هُناكَ غيرُ جذوعٍ
غيرُ طين يَضِجُّ، يعدو ويَقعي
لو عبرت الطَّرِيقَ عريانَ أبكي
وأُنادي، من ذا يعي، أو يُوَعِّي؟
يا فتى! يا رجال! يا يا، وأنسى
في دويِّ الفراغِ صَوْتي وسَمْعي

* * *

رُبَّما قالَ كاهنٌ، ما دهاني؟
ومَضَى يستعيذُ مِنْ شَرِّ صُنعي
رُبَّما استفسرَتْ عجوزٌ صبيّاً
ما شجاني، وأين أُمِّي وربعي
أو رمى عابرٌ إليَّ التفاتاً
واختفى في لحاقِ جمعٍ بجمعِ

* * *

إنَّما لو لَمَسْتُ جيبَ غنيٍّ
في قوى قبضتيْهِ قوتي، ومَنْي
لتلاقى الزِّحامُ حولي يُدوِّي
مجرمٌ، واحتفى بركلِي وصَفْعِي
ولصاحَ القُضاةُ ما اسمي وعُمْري؟
مَنْ ورائي؟ ما أصلِيَ أصلي وفَرْعِي؟
ما الذي يا فلانُ يا بن فُلانٍ؟
ولَهَوْا ساعة بخفضي ورفعي
وهَذَى المُدَّعي بقتلي لأنّي
خُنت، حاولتُ مكسباً غيرَ شرعي
وزرعتُ اللُّصوصَ في كُلِّ دربٍ
وعليَّ ابتلاعُ أشواكِ زَرْعي
فيقصُّ القضاةُ أخطارَ أمسي
وغَدِي وانحرافَ وَجْهي وطَبْعي
عندهم مِنْ سَوابقي نصفُ سِفْرٍ
وفصولٌ أشدُّ، عن خُبثِ نَبْعي
وسأُدعى تقدُّميّاً خطيراً
أو أُسمَّى تآمُريّا، ورَجْعي
وهُنا سوفَ يحكمونَ بسجني
ألفَ شهرٍ، أو يَسْتَجيدونَ قَطْعي
وسأبكي ولَن يُغيِّرَ دَمعي
أيَّ شيءٍ مِنْ وضعِ غَيري ووَضْعِي



يوم المعاد

ديوان "من أرض بلقيس" ١٨ ذو الحجة ١٣٧٨هـ

يا أخي يا ابن الفدى فيما التمادي
وفلسطين تنادي وتنادي؟
ضجَّت المعركة الحمرا.. فقم:
نلتهب.. فالنور من نار الجهاد
ودعا داعي الفدى فلنحترقْ
في الوغى، أو يحترق فيها الأعادي

* * *

يا أخي يا ابن فلسطين التي
لم تزل تدعوكَ من خلف الحِدادِ
عد إليها، لا تقل: لم تقترب
يوم عَودي قل: أنا «يوم المعاد»
عدْ ونصرُ العرب يحدوكَ وقل:
هذه قافلتي والنصرُ حادي
عدْ إليها رافعَ الرأس وقل:
هذه داري، هنا مائي وزادي
وهنا كرمي، هنا مزرعتي
وهنا آثار زرعي وحَصادي
وهنا ناغيتُ أمّي وأبي
وهنا أشعلتُ بالنّور اعتقادي
هذه مدفأتي أعرفُها
لمَ تزلْ فيها بقايا من رماد
وهنا مهدي، هنا قبرُ أبي
وهنا حَقْلي وميدانُ جِيادي
هذه أرضي لها تضحيتي
وغرامي ولها وهج اتّقادي
ها هنا كنتُ أُماشي إخوتي
وأُحيّي ها هنا أهلَ ودادي
هذه الأرض درجْنا فوقها
وتحدَّينا بها أعْدى العوادي
وغرسناها سلاحاً وفدىً
ونصبنا عزْمَنا في كل وادي
وكتبنا بالدّما تاريخها
ودِما قوم الهدى أسنى مِداد
هكذا قل: يا ابن «عكا» ثم قل:
هاهنا ميدان ثاري وجلادي
يا أخي يا ابن فلسطين انطلق
عاصفاً وارم العدى خلف البعاد
سر بنا نسحقْ بأرضي عُصبة
فرَّقت بين بلادي وبلادي
قل: «لحيفا» استقبلي عَوْدتنا
وابشري ها نحن في دربِ المعاد
واخبري كيف تشهّتْنا الرّبى
أفصحي كم سألت عنّا النّوادي!
قل: لإسرائيل يا حُلم الكرى
زعزعت عَودتُنا حُلم الرّقاد
خاب «بلفور» وخابت يدهُ
خيبةَ التجّار في سوق الكساد
لم يسع، لا لم يسع شعب أنا
قلبُه وهو فؤادٌ في فؤادي
قل: «لبلفور» تلاقت في الفِدى
أمّةُ العرب وهبّت للتّفادي

* * *

وحّدَ الدربُ خطانا والتقَت
أمّتي في وَحدةٍ أو في اتّحاد
عندما قلنا: اتحدنا في الهوى
قالت الدنيا لنا: هاكم قيادي
ومضينا أمّة تزجي الهدى
أينما سارت وتهدي كلّ هادي

يا شعر

١٩٨٩

مُذْ أَربعينَ وأرْبَعْ
تَقولُ صَمْتِي وأَسمَعْ
أقولُ نبضَكَ تُصْغِي
عنِّي، أُناجِي وتسجعْ
تُفشي الَّذي لستُ أُبدي
أُبدي الَّذي فيك مُودعْ

* * *

أهْذي وتهدي نُداري
ومضاً يُمَنِّي ويخْدَعْ
نبكي، نُغَنِّي، وننسى
ـ مَن ذا يُغنّي ويَدمعْ
كأنَّ فينا سوَانا
أحنُّ منّا وأوْجَعْ
ماذا تريد، وأبغي؟
ـ سرّاً عَلى البَوْح أَمنعْ
نحتاجُ بعضَ هجوعٍ
هلِ المصابيحُ تَهجَعْ؟
سلْها جميعاً أتدري
لمنْ تعاني لِتصدعْ
قالتْ: تضيءُ وتُغضي
عَمَن تضرُّ وتنفَعْ
هلْ أشبهتْنا؟ كلانا
نضيع في إثرِ أَضْيَعْ

* * *

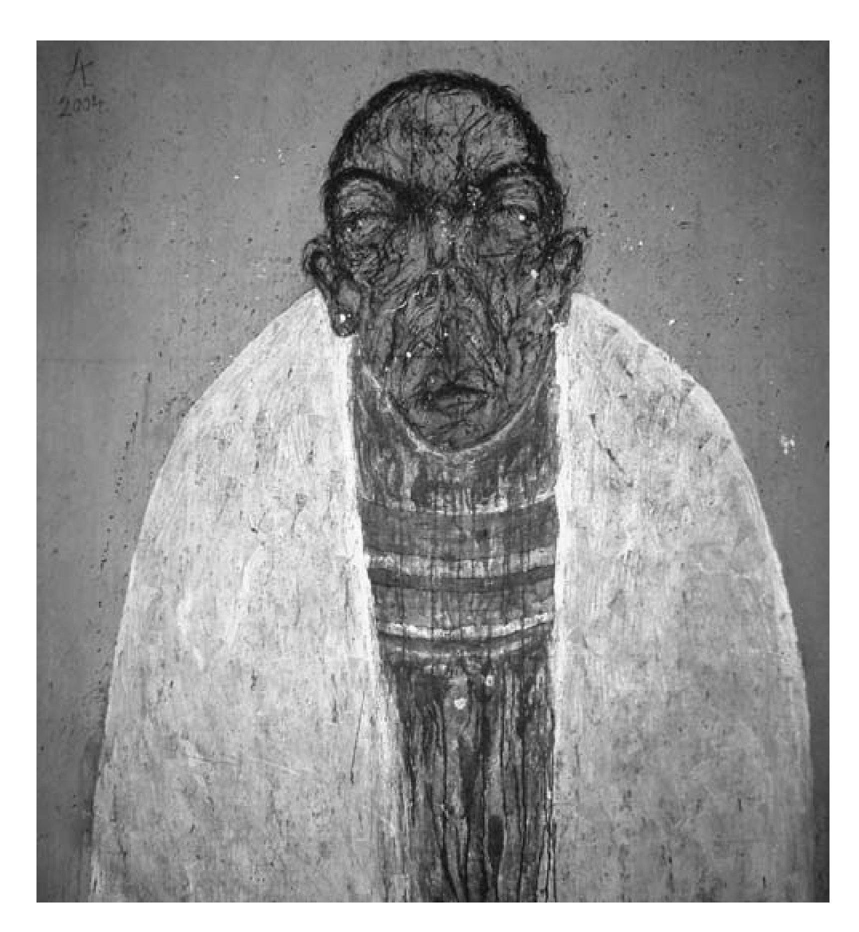
قلْ لي إلى كمْ نساري
فينا الحريقَ المُوَقَّعْ؟
نظما ونرجو، يُلبِّي
غيرُ الذي فيهِ نطمعْ

* * *

تُدني أمانيك أَحْسُو
أشُقُّ صدْري فتَرْضَعْ
تُطلُّ مِنْ قلبِ قلبي
مِنْ غورِ عينيْك أَطلَعْ

* * *

نصبو إلى الفَنِّ، نلقى
بنا المرارات أولَعْ
في مقطعيْنِ نغنّي
نبكي بعشرينَ مَقْطَعْ
ولا نسلّي بهذا
ولا بذيَّاك نَفجعْ
يا شعرُ مِن أين جئنا؟
قل أنتَ مِن أينَ نرجَعْ
ألا تلاحظُ أنَّا . . .
ننصبُّ مِنْ غير منبَعْ
نأتي الَّذي ليسَ يأَتي
نلقى الذي قِيل ودَّعْ
وراء وهْمٍ رقيع . . .
نجترُّ طَيفاً مُرَقَّعْ



* * *

لِمْ لا نُنَضّجُ فينا . .
بدءاً أجلَّ وأنصَعْ؟
شمساً مِن الشّمس أصْبَى
أرضاً مِنَ الأَرض أوسَع
أما ابتدأنَا؟ نَوينَا
والآنَ منَّا سنشرَعْ
فلنحترقْ علَّ برقاً
مِن الرَّمادِ سيَلمعْ

تحوُّلات ... أعشاب الرماد

سبتمبر ١٩٧٨

عَرفتُ لماذا . . . كنتُ قتلي وقاتلي
لأنَّ الذي يُعطيني الخُبزَ آكلي
لأنِّي بلا ريحٍ . . . إلى الريحِ أنتمي
فيوماً يمانيّاً، ويومين (باهلي)
وطَوراً غروبياً، وطوراً مُشرِّقاً
وحيناً صَدَى حيناً نشيداً (سواحلي)
وآناً بلا وقتٍ، وآناً مؤقتاً
قناعي علائيٌّ، ووجهي تنازُلي

* * *

أأروي حكاياتي؟ جُفوني محَابرٌ
لأقلام غيري، حبرُ غيري أناملي
لأنِّي دخلتُ السجنَ شهراً، وليلةً
خرجتُ، ولكن أصبحَ السجنُ داخلي
لقد كنتُ محمولاً على نارِ قعرهِ
فكيفَ تحمَّلتُ الذي كان حاملي؟
ومَنْ يطلقُ السجنَ الذي صِرتُ سَجنُه؟
ومَنْ يطرحُ العبءَ الذي صارَ كاهلي؟

تخشَّبْتُ والأيَّامُ مثلي تَخَشَّبَتْ
أتمضينَ يا أيامُ؟ مِنْ أينَ؟حاولي
مِنَ الآنَ حاولْ أنتَ . . . كيفَ تريدني؟
سَكَتَّ لماذا؟ هُزَّني مِنْ مفاصلي
تقولينَ: حقِّي أصبحَ اليومَ باطلاً
عليَّ إليهِ، أمتطي ظهرَ باطلي
أتدرينَ؟! أنساني التمرُّغُ ههُنا
جبيني، وأنستني المنافي شمائلي

* * *

تقولينَ: ماذا أَنْتوي يا هواجسي؟
أتنوينَ شيئاً؟ فارقيني وناضلي
أما فيكَ ما لم يحترقْ بعدُ؟ كلُّ ما
أعي، أنني أفنيتُ حتى تفاعُلي
أجِبْ غيرَ هذا، أعشبَتْ فيكَ جمرةٌ
وهذا اختلاجي فيكَ أزهى دلائِلي

* * *

دمي صارَ ماءً رمَّدتْني وُحُولُهُ
قميصي، أتخشى أَنْ تُفيقَ شواعلي؟
تُصيخُ إلى شيءٍ يجادلُ هجعَتي
ومِن أي ذرَّاتي يُنادي مُجادلي؟

* * *

أُحِسُّ بقلبي الآنَ ركض ولادةٍ
عَنِ الصَّمتِ يُلهيني، عنِ الرُّعبِ شاغلي
أَبَيْني وبيني ثالثٌ إسمهُ أنا؟
أمِنِّي أتى غيري؟ أيبدو مُشاكِلي؟

* * *

تحوَّلتُ غائيّاً، مِن الموتِ أبتدي
إلى غايةٍ أعلى، ستُضحي وسائلي
أَلِلمرءِ ميلادٌ يموتُ ومولدٌ
بلا أيِّ حدٍّ؟ ما الذي يا تساؤلي؟

* * *

تحوُّلات ... أعشاب الرماد

ذيل للقصيدة السابقة

في المقطع قبل الأخير (١ ـ قاع جهران، ٢ ـ قُباتل، ٣ ـ عيبان): سبقت الإشارة إلى الأول في مكان سابق (قُباتِل): قرية بجهران شهيرة بجودة زرع الشعير.

(عيبان): اسم جبل مطِلّ على صنعاء كاد يخنقها بالحصار الملكي عام ٦٧ وفيه بذلت صنعاء من الشهداء العشرات حتى مزقت المحاصرين وحتى أصبح عيبان أزهى رموز النصر.



أصوتي سوى صوتي؟ أُجرِّبُ صيحة
هنا مولدي يا فجر، قبِّلْ خمائلي
سَقَوْني دمي، كي أرتوي دائماً بلا
حنين، فنادتْني إليها مناهلي
ترمَّدتُ كيٍ أغلي وأندى، وهأنا
أتيت، وفي وَجْهي شظايا مراحلي

* * *

صباحَ المنى يا (قاعَ جهرانَ)[١] هل ترى
على لحيتي لونَ الشعيرِ (القُباتِلي)[٢]؟
أتعرفُني يا عمُّ (عَيْبانَ)[٣] مَنْ أنا؟
أتنوينَ يا شمس الرُّبى أَنْ تُغازلي؟
إلى شهوةِ الأعراس أسرجْتُ مَدفني
ومِنْ قَطْعِ شِرْيَاني بَدَأتُ تَواصُلي
أما كنتُ ميتاً؟ إنما كنتُ أغتلي
وأعلو على قتلي، لأجتثَّ قاتلي

ترجمة رملية لأعراسِ الغُبار

غـريـبـةٌ يـا طـارئـاتُ مـثـلـي
شـريـدةٌ مـثـلـي ومـثـلُ أهـلـي
مـنـقـادةٌ مـثـلـي لـكـلِّ ريـح
رملُ الـفـيـا فـي أصـلُـهـا وأَصلي
لأنَّـهـا رمـلـيـةٌ شـبـيـهـي
أتـى غـبـاراً نـسـلُـهـا ونـسـلـي
كـمـا الـتـقـى مـسـتـنـقـعٌ وقَـيْـحٌ
كـان تـنـاجـي زمـرِهـا وطَـبـلـي!!

* * *

مـثـلـي بـلا فـعـل بـلا تـخـلٍّ
هـل فِـعـلُـنـا أخْـوى أم الـتـخـلِّـي؟
مـثـلـي بـلا مـاضٍ، ومـا يُـسـمَّـى
(مُـسـتـقـبـلـي) يـأتـي، يـمـوتُ قـبـلـي

* * *

غـريـبـةٌ يـا طـارئـاتُ عـنِّـي
وتـلـتـحـفـن قـامـتـي وظِـلِّـي
من مُقلتي تَدْخُلنَ قبل فتحي
ومن فمي تخرُجْنَ بعد قَفلي
تَطبُخنَ في قلبي عشاءَ موتي
وتبتردنَ في يدي، وأَغلي
تَقُلنَ ما لا أبتغي بصوتي
تَكتُبن ما لا أرتَئِي وأُملي
وليس لي ما أدَّعي لأني
أغمدتُ في قلبي: يدي ونَصلي

* * *

أيـا الـتـي سـمَّـيـتُـهـا بـلادي
بلادُ مَن؟ يا زيفُ «لا تَقُلْ لي»
بـلادُ مَـنْ؟ يـا عـاقـراً وأُمّـاً
ويا شظايا تَصْطَلي وتَصْلِي
يا ظبية في عصمةِ (ابن آوى)
يا ثعلباً تحتَ قميص (مِشلِّي)
يا طفلة في أسرِها تُغنِّي
ويا عجوزاً فيَ الدُّجى تُفَلِّي
يا حلوةً دوديَّة التَّشهي
يا بَهرجاً من أشنعِ التحلِّي

* * *

همست للقوَّادِ: هاكَ صدري
وقُلْتِ للسكِّين: هاكِ طفلي
وللغرابِ: البسْ فمي وكفّي
وللجرادِ: اسكن جذورَ حقْلِي
فهل تبقَّى الآن منك، منِّي
شيءٌ سِوى لعلَّها، لعلِّي؟. .

* * *

إلى سِوى هذا الزَّمانِ أهفو
إليهِ أُضني سُرعتي ومَهلي
هل أمتطي نفَّاثة إليه
وتحتَ جلدي ناقتي ورَحلي؟
هل أمتطي بغلاً كنصفِ حلٍّ؟
قد يمتطي وَجْهي قذالُ بغلي!
أيُّ الخُطى أهدى إليه؟ أَضْحَتْ
غاياتُ عرفاني كبدءِ جهلي!

* * *

يـا غـيـرَ مـا جـرَّبـتُـهُ أجـبـنـي
ويـا سِـوى تـلـكَ الـمُـنـى أطـلِّـي
ويـا حـدودَ الـمـسـتـحـيـلِ ذُوبـي
ويـا لُـغـاتِ الـمُـمـكـنِ اضـمَحِلِّي

* * *

ويـا الـتـي يَـدْعـونـهـا: (ظـروفـاً)
تـحـطُّ أكـداسَ الـدُّمَـى وتُـعـلـي
أَلـمـوتُ بـالـحـلـوى لـديـكِ حـذقٌ
وبـالـمُـدى ضـربٌ مِـنْ الـتَّـسـلِّـي
مَـن عـلَّـم الـبـولـيـسَ كـيـفَ يـشـوي
لـحـومَ عُـشَّـاق الـحـمـى ويَـقـلـي؟
مَـن يـحـمـلُ الـرَّشـاشَ فـهـو حـرٌّ
فـي قـتـلِ آتـي مـوطـنـي وقـتـلـي
يقول ـ إذ يمشي على الضحايا ـ:
مـاذا هُـنـا غـطَّـى لـمـوعَ نـعـلـي؟

* * *

لأنَّ قـتـلَ (الـنـفـطِ) ذو فـنـونٍ
يُـردي هـنـا، وهـهُـنـا يُـصـلِّـي
هُـنـا يـحـنِّـي لـحـيـة ويـدعـو
هـنـاكَ يَـرمـي جِـلـدَه الـمَـحـلِّـي
يـبـيـع لـونـاً يـشـتـري سِـواهُ
يـريـدُ تـجـديـدَ اسـمـهِ فَـيُـبـلـي
تـلـكَ الـقـبـورُ الـمـزمـنـاتُ فـيـهِ
يـظـلُّ يـجـلـو حُـسـنَـهـا ويَـطْـلـي

* * *

يـبـدو عـروسـا، لا تـقـولُ ريـحٌ
لأخـتـهـا: إنَّ الـزفـافَ رَمْـلـي
تُـصـغـي إلـى تـصـريـحِـهِ الـدَّواهـي
وآخـرُ الأزواجِ عـنـه يُـدلـي
يـغـدو أُصـولـيّـاً بـدونِ فِـقـه
يُـمـسـي حـلـولـيـاً بـلا تـجـلِّـي[١]

* * *

يـشـمُّ مـاذا تـحـلـمُ الـعـشـايـا
يصيحُ: هـذا الـعـصـرُ صُـنْـعُ بَـذْلـي
أهـرقـتُ فـي أوكـارهِ عـيـونـي
كـي يـرتـدي هـذا الـلَّـعـيـنُ شـكـلـي
لا تـنـفـلـت يـا بـحـرُ مِـن بـنـانـي
تـجـمَّـعـي يـا أرضُ تـحـتَ رجـلـي

* * *

يـا ريـحُ: هـل تُـعـطـيـن غـيـرَ قـشٍّ؟
مِـنْ أيـنَ؟ تـأريـخُ الـرُّكـامِ بَـعْـلـي
غـداً تـرانـي أسـتـهـلُّ عـهـداً
لأنّـنـي ضـيَّـعـتُ مُـسـتـهَـلِّـي

* * *

فـي الـقـلـبِ شـيءٌ ـ يـا زمـانُ ـ أقـوى
لا تـنـعـطـفْ مـن أجـلـهِ وأجـلـي
أحَـبُّ مـا تُـولـيـن مِـن عـطـايـا
يـا هـذه الأيـامُ ـ أن تُـوَلِّـي . . .

ترجمة رملية لأعراسِ الغُبار

(١) حلولياً بلاتجلي: ترتب الفلسفة الصوفية مراتب الوصول إلى الذات. الحلول: أي وحدة الوجود الكلي.



شاعرٌ... ووطَنُهُ في الغربة

١٩٧٣ ـ ١٩٧٤

كانَ صُبحُ الخميسِ أو ظهرُ جُمعَهْ
أذهَلَتْنِي عني عن الوقتِ لوعَهْ
دَهشَةُ الراحلِ الذي لم يُجَرِّبْ
طعمَ خوفِ النَّوى ولا شوقَ رَجْعَهْ
حيـن نـادت إلى الصُّعودِ فتـاةٌ
مثل أختي بُنَيَّةُ الصَّوت، رَبعَهْ
منـذُ صـارَتْ مُضِيـفـة لقَّبـوهـا
(سوزنَا) واسمها الطفوليُّ (شَلعَهْ)

***

إنَّ عصـريَّـة الأسـامـي علـينـا
جلدُ فيلٍ على قوام ابن سَبعَهْ
هل يُطرِّي لونُ العناوين سَفراً
مَـيِّـتـاً زوَّقَـتْـهُ آخـرُ طـبـعَـهْ

***

حانَ أن يُقلع الجناحان... طِرنا
حفنة مِنْ حَصى على صدرِ قلعَهْ
مقعدي كانَ وشوشاتِ بلادي
وجهُ أرضي في أدْمُعي ألفُ شمعَهْ
ووصلْنا. قُطِّرتْ مأساةُ أهلي
منْ دمِ القلب دمعةً بعدَ دمعَهْ

***

زعـمـوني رفعْتُ بندَ التَّحدِّي
واتَّخذتُ القتالَ بالحرف صنعَهْ
فلْيكُنْ... ولأمُتْ ثلاثينَ موتاً
كُـلَّمـا خُضْتُ ستَّةً هاجَ تسعَهْ
كُـلَّما ذُقتُ رائعاً مِنْ مَمَاتي
رُمْتُ أقسى يداً وأعنفَ روعَهْ

***

ألأنـي يـا مـوطـنـي... أتَـجَـرَّأ
قِطعاً من هواكَ في كُلِّ رُقعَهْ
نـعـتـونـي مُـخـرِّبـاً أنتَ تـدري
أنَّـهـا لَـنْ تـكـونَ آخـرَ خـدعَـهْ

عَـرَفـا أنَّـهُـمْ أُديـنـوا فسَـنُّـوا
للجواسيسِ تهمةَ الغيرِ شِرعَهْ
عـنـدما تفسُدُ الظُّروفُ تُسَمَّى
كُلُّ ذِكرى جميلة سوءَ سُمعَهْ
يُظلِمُ الزَّهرُ في الظلام ويَبدو
مثلَ أصفى العيونِ تحتَ الأشعَّهْ

***

يا رحيلي هذي بلادي تُغَنِّي
داخلي تغتلي تَدُقُّ بسُرْعَهْ
كنتُ فيها ومُذْ تغيَّبتُ عنها
سكنتني من أرضِها كُلُّ بقعَهْ
إلتَقَتْ فيَّ (صعدة) و(المُعلاَّ)
ألقطاعاتُ داخلي صِرنَ قِطعَهْ
صِرْتُ للمَوطِنِ المُقيم بَعيداً
وطناً راحلاً، أفي الأمرِ بدعَهْ!؟
أحتسي موطني لظًى، يحتسيني
من فمِ النَّارِ جرعة إثرَ جُرعَهْ
في هواه العظيمِ أفنى، وأفنى
والعذابُ الكبيرُ أكبرُ مُتعَهْ

أحزان ... وإصرار

مايو ١٩٧٣

شوطُنا فوقَ احتمال الإحتمالْ
فوقَ... الصَّبر... لكن لا انخذالْ
نغتلي... نبكي... على مَنْ سَقَطوا
إنَّـمـا نـمضـي لإتـمـام المَـجـالْ
دمُـنـا يَـهـمـي عـلـى أوتـارنـا
ونُـغَـنِّـي لـلأمـانـي بـانـفـعـالْ
مُـرَّةٌ أحـزانُـنـا... لـكـنَّـهـا
ـ يا عذابَ الصَّبر ـ أحزانُ الرِّجالْ
نبلعُ الأحجارَ... ندمى إنَّما
نعزفُ الأشواقَ... نشدو للجَمالْ
ندفنُ الأحبابَ... نأسى إنَّما
نتحدَّى... نحتذي وجهَ المُحالْ
مُذْ بدأنا الشَّوطَ... جَوْهَرنا الحَصى
بالدَّمِ الغالي وفَرْدَسْنا الرِّمالْ
وإلى أينَ...؟ عَرفْنا المُبتدا
والمسافاتُ ـ كما ندري ـ طِوالْ
وكنيسانَ انطلقنا في الذُّرى
نسفحُ الطِّيبَ يميناً وشَمالْ
نـبـتـنـي لـلـيمـن الـمنشـودِ مِنْ
سُـهْـدِنـا جسـراً ونـدعـوه تـعـالْ

***

وانـزرعْـنـا تحت أمطارِ الفَنَاءْ
شجراً مِلءَ المَدى... أعيا الزَّوالْ
شـجـراً يَحضـنُ أعماقَ الثَّرى
ويُعيرُ الرِّيحَ أطرافَ الظِّلالْ
واتَّقدنا في حشا الأرض هوًى
وتـحـوَّلـنـا حقولاً... وتِلالْ
مِشْمِشاً... بُنّاً... وروداً... .وندًى
وربيعاً... ومَصيفاً وغِلالْ
نحنُ هذي الأرضُ... فيها نلتظي
وهـي فـيـنـا عـنـفـوانٌ واقـتـتـالْ
من روابي لحمِنا هذي الرُّبى
من رُبى أعظُمِنا هذي الجبالْ

***

لـيسَ ذا بـدءَ الـتَّـلاقـي بـالـرَّدى
قـد عشـقـنـاهُ وأُضـنـانـا وصـالْ
وانـتـقـى مِـنْ دَمِـنـا عِـمَّـتَـهُ
واتَّـخذنا وجـهَـهُ الـنَّاري نِعالْ
نَـعـرفُ الـمـوتَ الـذي يَـعـرفُـنـا
مَسَّنا قتلاً... ودُسْناهُ قِتالْ
وتَـقَـحَّـمْـنـا الـدَّواهـي صُـوَراً
أكَلَتْ مِنَّا... أكَلْناها نِضالْ
موتُ بعضِ الشَّعبِ يُحيي كلَّهُ
إنَّ بعضَ النَّقصِ روحُ الاكتمالْ

***

هـهُـنـا بعضُ النُّجوم انطفأتْ
كي تزيدَ الأنجمُ الأُخرى اشتعالْ
تـفـقـدُ الأشـجـارُ مـن أغـصـانـهـا
ثُـمَّ تـزداد اخضـراراً واخضـلالْ
إنَّما... يا موتُ... .هل تدري متى
تـرتـخـي فـوقَ سرير من مَلالْ؟
فـي حـنـايـانـا سؤالٌ... مالَهُ
من مُجيبٍ... .وهو يَغلي في اتِّصالْ
ولـمـاذا يـنـطـفـي أحـبـابُـنـا
قبلَ أن يستنفدَ الزَّيتَ الذُّبالْ؟
ثُمَّ ننسى الحُزنَ بالحُزنِ ومَنْ
يا ضياعَ الرَّدِّ ـ يُنسينا السُّؤالْ..؟

في طريق الفجر

٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢هـ

أسفرَ الفجرُ فانهضي يا صديقَهْ
نقتطفْ سحرَهُ ونحضنْ بريقَهْ
كـمْ حـنـنّـا إلـيـهِ وهـوَ شـجـونٌ
في حنايا الظلام حيْرى غريقَهْ
وتـبـاشـيـرُهُ خـيـالاتُ كـأسٍ
في شفاهِ الرُّؤى، ونجوى عميقَهْ
وظـمـئـنـا إلـيـهِ وهـو حـنـيـنٌ
ظامئٌ يُرْعِشُ الخفوقُ شهيقَهْ
واشتياقٌ يقتاتُ أنفاسَهُ الحمـ
ـرَ ويحسو جراحَهُ... وحريقَهْ
وذهـولٌ كـأنَّـهُ فـيـلـسـوفٌ
غابَ في صمتِهِ يناجي الحقيقَهْ
وطـيـوفٌ كـأنَّـهـا ذكـريـاتٌ
تتهادى من العهودِ السّحيقَهْ
واحتضنَّا أطيافَهُ في مآقينا
كما يحضنُ العشيقُ العشيقَهْ

وهو حبٌّ يجولُ في خاطرِنا
جولةَ الفكرِ في المعاني الدَّقيقَهْ
والتقينا نُريقُ دمعَ المآقي
فأبتْ كبرياؤنا أنْ نُريقَهْ
واحترقْنا شوقاً إليهِ وذُبْنا
في كؤوسِ الهوى لحوناً رقيقَهْ
وانتظرْناهُ والدّجى يرعشُ الحلمَ
على هجعةِ القبورِ العتيقَهْ
والسُّرى وحشةٌ وقافلةُ السَّـ
ـفْرِ يخافُ الرفيقُ فيها رفيقَهْ
وظلامٌ لا ينظرُ المرءُ كفَّيْـ
ـهِ ولا يسعدُ الشقيقُ شقيقَهْ
هكذا كانَ ليلُنا فتهادى
فجرُنا الطّلقُ فالحياةُ طليقَهْ

* * *

فانظري: «يا صديقتي» رقصةَ الفجرِ
على خُضرةِ الحقولِ الوريقَهْ
مهرجانَ الشروقِ يشدو ويندى
قُبُلاتٍ على شفاهِ الحديقَهْ
فانهضي نَلثُمِ الشروقَ المغنّي
ونقبِّلْ كؤوسَه ورحيقَهْ
واخطري يا صديقتي في طريقِ الـ
ـفجرِ كالفجرِ، كالعروسِ الأنيقَهْ
واذكري أنّنا نعشْنا صباهُ
وحدَوْنا، على خطاهُ الرشيقَهْ
وسكبْنا في مهدِهِ دفءَ قلبَيْـ
ـنَا وأحلامَنا العذارى المشوقَهْ
نحن صُغْنا أضواءهُ مِنْ هَوانا
وفرَشْنا بالأغنياتِ طريقَهْ
وشَدَوْنا في دربِهِ كالعصافـ
ـيرِ.. وشدْوُ الغرامِ فيضُ السليقَهْ
لنْ نُطيقَ السكوتَ فالصمتُ للمَيْـ
ـتِ وتأبى حياتُنا أنْ نطيقَهْ

* * *

نحنُ منْ نحنُ؟ نحنُ تاريخُ فكرٍ
وبلادٌ في المُكْرماتِ عريقَهْ
سبقتْ وهمَها إلى كلِّ مجدٍ
وانتهتْ منهُ قبلَ بدءِ الخليقَهْ
فابسمي: عادَ فجرُنا وهو يتلو
للعصافيرِ مِنْ دِمانا وثيقَه

غير ما في القلوب

١٩٨٥م

أقولُ ماذا يا ضُحى، يا غُروبْ؟
في القلبِ شوقٌ غيرُ ما في القُلوبْ
في القلبِ غيرُ البُغضِ غيرُ الهَوى
فكيفَ أحكي يا ضجيجَ الدُّروبْ؟
ويا ثياباً ماشياتٍ على
مشاجبَ تَفْتَرُّ فيها النُّدوبْ
ويا رصيفاً يحفرُ الصَّبرُ في
لوحيْهِ تاريخَ الأسى والشحوبْ
ويا قصوراً يرتديها الخَنا
وترتدي وجهَ النَّبيِّ الكَذوبْ
ويا جُذوعاً لا يُنادي بها
إلا ثقوبٌ طالباتٌ ثُقوبْ
يا باعةَ التَّجميلِ هذي الحُلى
تهدي إلى ما تحتها مِنْ عُيوبْ

* * *

أقولُ ماذا يا نسيمَ الصَّبا
أقولُ ماذا يا رياحَ الجَنوبْ؟
ألحرفُ يحسو قيْأَهُ في فمي
والصَّمتُ أقسى مِن حسابِ الذُّنوبْ
وهذهِ الأحلامُ تُغوي كما
تراوغُ الأعمى عجوزٌ لعوبْ

* * *

فعلِّميني الحَرْقَ يا كهربا..
أو علِّميني يا رياحَ الهُبوبْ
أو مُدَّني يا برقُ أُفقاً سوى
هذا وبحراً غيرَ ذاكَ الغَضُوبْ
أو حاولي يا سُحْبُ أن تُطفئي
قلبي عسى عن قلبِهِ أنْ يتوبْ

* * *

مَنْ أغسقَ الأيامَ يا ريحُ؟ هَلْ
تدري الثُّريَّا أيَّ مسرًى تجوبْ؟
كلُّ المَدى أيدٍ ذبابيَّةٌ
صفايحٌ مكسوَّةٌ بالقطوبْ
حوائطٌ تغدو وتَسري كما
تأتي على ريحِ الجفافِ السُّهوبْ

* * *

وقُبَّراتٌ حُوَّمٌ تجتدي
سنابلاً يحوينَ غيرَ الحُبوبْ
يا كُلَّ منقارٍ تناسى الطَّوى
لا تزعجِ القحطَ الأكولَ الشَّروبْ

* * *

تقولُ ماذا علَّ قلبَ الثَّرى؟
أظمى إلى غيرِ السَّحابِ السَّكوبْ
هَلْ في الرُّبى يا شمسُ غيرُ الرُّبى؟
هَلْ للكُوى معنًى خبيءُ الجيوبْ؟
والسَّفحُ هَلْ فيهِ سِواهُ وهَلْ
في الوردِ غيرُ اللَّونِ غيرُ الطُّيوبْ؟
والشَّمسُ هَل في طيِّها غيرُها
فترحلَ الأولى وأُخرى تؤوبْ؟

* * *

يا شمسُ هَلْ يَدري الضُّحى والدُّجى
مَنْ علَّمَ المنشودَ فنَّ الهُروبْ؟
كُلٌّ لهُ مأساتُه لا أرى...
فرقاً ولكنَّ المآسي ضُروبْ

* * *

هَلْ يسمعُ الإسفلتُ أوجاعَهُ
أو هَلْ يَرى سِرَّ الزِّحامِ الدَّؤوبْ
وهل يُحِسُّ [المرسديسُ] الذي
يُزجِي لأضنى اللَّحمِ أقوى النُّيوبْ؟

* * *

هَلْ للمواني أمنياتٌ تَرى
تلكَ الوجوهَ الباديات اللُّغُوبْ؟
هل تنتوي الشُّطآنُ تَسعى إلى
مراكبِ العانينَ وقتَ الرُّكوبْ؟
لكُلِّ طافٍ باطنٌ راسبٌ
سيرسبُ الطَّافي ويطفو الرُّسُوبْ

* * *

يا كلَّ آتٍ ما أتى مرةً
خُذني وأرضِعْني جديدَ الوثوبْ
واخترْ طريقاً ما رآهُ الذي
عن كلِّ مدعوٍّ وداعٍ يَنوبْ
في القلبِ شيءٌ مالَهُ سابقٌ
وفيهِ أخفى مِنْ نوايا الغُيوبْ
فيهِ أمانٍ غيرُ كلِّ المُنى
فيه شعوبٌ غيرُ هذي الشُّعوبْ

* * *

لِمْ لا يذوبُ القلبُ مما بهِ؟
كم ذابَ لكِنْ فيهِ ما لا يذوبْ
رصاصةٌ تُعنى بإسكاتهِ
ما أسكَتَتْ ما فيهِ حتى الحُروبْ
يهتزُّ للنيرانِ تجتاحُهُ
مُرَدِّداً: كُلُّ كريمٍ طَروبْ

من أرضِ بلقيس(١)

من هذه الأم الحنون، والحبيبة الحسناء، من هذه الفاتنة الراقصة على القلوب. من هذا الفردوس الأرضي. من هذه الحبيبة الغارقة في العطر والنور!!

مِنْ أرضِ بلْقيسَ هذا اللَّحنَ والوترُ
مِن جوِّها هذه الأنسامُ والسَّحَرُ
مِنْ صدرها هذه الآهاتُ مِنْ فمِها
هذي اللّحونُ؛ ومنْ تاريخِها الذِّكرُ
مِن «السعيدة»(٢) هذي الأغنياتُ ومنْ
ظلالِها هذه الأطيافُ والصّورُ
أطيافُها حول مَسْرى خاطري زُمَرٌ
من الترانيم تشدو حولَها زمرُ
من خاطرِ «اليمنِ» الخَضْرا ومهجتِها
هذي الأغاريدُ والأصداءُ والفِكرُ
هذا القصيدُ أغانيها ودمعتُها
وسِحْرُها وصِباها الأغيدُ النّضِرُ
يكادُ منْ طولِ ما غنّى خمائلَها
يفوحُ منْ كلِّ حرفٍ جوُّها العطِرُ
يكادُ من كُثْرِ ما ضمّته أغصنُها
يرفُّ من وجنتيْها الوردُ والزّهرُ
كأنّه من تَشكّي جُرحِها مُقَلٌ
يُلِحُّ منها البُكا الدامي وينحدرُ
يا أمّيَ اليمنَ الخضرا وفاتنتي
منكِ الفتونُ ومني العشقُ والسَّهرُ
ها أنتِ في كلِ ذرّاتي وملءِ دمي
شعرٌ «تُعَنْقده» الذكرى وتعتصِرُ
وأنتِ في حضنِ هذا الشِّعرِ فاتنةٌ
تُطِلّ منهُ، وحيناً فيه تستترُ
وحسبُ شاعرِها منها ـ إذا احتجبت
عن اللقا ـ أنه يهوَى ويدّكِرُ
وأنها في مآقي شِعرِه حُلُمٌ
وأنها في دجاهُ اللهوُ والسَّمرُ
فلا تَلُمْ كِبْرِياها فهي غانيةٌ
حَسْنا، وطَبعُ الحسانِ الكِبْرُ والخَفَرُ
مِن هذه الأرض هذي الأغنياتُ، ومن
رياضِها هذه الأنغامُ تنتثرُ
من هذه الأرضِ حيثُ الضوءُ يلثمها
وحيثُ تعْتنقُ الأنسامُ والشجرُ
ما ذلك الشدو؟ مَنْ شاديه؟ إنهما
مِن أرضِ بلقيسَ هذا اللحنُ والوترُ

تميمية... تبحث عن بني تميم

أوغسطس ١٩٩٠

يا مُنَدَّى، لي واحةٌ في (حولِّي)
قل لها: ما الذي، وكيف، وقل لي
لا تُنَفِّضْ مِن ريح صنعا جناحاً
فَهْيَ أحفى بكل طيبٍ محلّي
وإذا استَنْسَبْتْكَ، قل خير قاتي
يافعيٌّ، وأفضل البُنِّ فضلي(١)
وإذا استغْمضتْكَ، قل هاكِ قلبي
فهو جنسيَّتي وكُتْبي ورُسْلي
قل لمن أنْجمتكَ عني غلاماً
في اكتهالي، خذي غلامي وكهلي

* * *

لستَ ضيفاً رِيِّضْ جناحيكَ منها
في ربيعٍ يصبو، وصيفٍ يُدَلِّي
واتَّحدْ بالشذى، ورفرفْ كقلبي
وتلَقَّطْ عنها التفاصيل مثلي

* * *

وإذا بادهتْكَ: لِمْ جئتَ عني
سائلاً، قل لها: لأنَّكِ سُؤْلي
ولأني ضحيةٌ فالضحايا
ـ أين كانت ـ شغلُ ارتحالي وحِلِّي

* * *

كلُّ قلبٍ في أي أرض جوازي
وبأدراج كل قسمٍ سِجلِّي
أَوَ تستكثرين هذا ارتياباً
في احتمالي، أرجوكِ أن تستقلِّي

* * *

هل تشمِّينَ سَحْرةً ودَّعتني
ونداها يَرشُّ ريشي ويُطْلي؟
قلت إذ ذاك وشوشي يا خوافي
باسمها يا قوادمي لا تكلِّي

* * *

ما أحَنَّ الذي رمى بكَ حزني
يوم فَصْلُ العُرى حَدا فجر وصْلي
مَنْ تُسلِّيه؟ ميلُهُ زئبقيٌّ
(شاهليٌّ) يوماً، ويومين (جِبْلي)(٢)
عن (هدى)، عن (منى) بأن هواهُ
سنويٌّ، وعن (سُميَّةَ) فصْلي
كان نقلي موّالَهُ فوق جُهدي
وأراني هنا بدأتُ أُمَوْلي

* * *

فإذا قالت اقترب، فهي قالت:
الزوايا تخط ما سوف أُمْلي
فارتعشْ يا هَزار بين يديها
كنبيٍّ ناداه سرُّ التجلِّي
وتلقّى المفاجآت صموتاً
لامحاً ما تكنُّ مما ستُدلي
مستزيداً مِن بوحها مستعيداً
مبدياً ما يثير فيما يُسلِّي



* * *

قلْ لها: هل رأيت في أي يوم
مثل هذا الذي طمى اليومَ يَغلي
يدفن السمعَ في الجنازير يُجْثي
كلَّ سقفٍ في أخمصيه ويُعلي
يحرق النوم في العيون، ويطهو
في الشظايا، مسرى النجوم ويَقْلي

* * *

هل سمعتِ الصباح مثلي ينادي
: يا (حَوَلِّي) أراكَ أصبحتَ قبلي(٣)
قال: بكَّرتَ أنتَ طبت مساءً
فرأى ما رأى وقال: لعلّي
أيُّ ريحٍ مِن خِدْرِ أُمِّي رمتني
ونَفَتْني مِن انبلاجي وطَلِّي؟

* * *

وهنا سوف تسْتهلُّ وتشكو:
ضاع في آخر الصَّدى مُسْتهَلِّي
بعد نصف الدجى أتوا، ولخوفي
غاب خوفي وكنت أرهَبُ ظِلِّي
جاء مني ـ يا ذا الجناحين ـ غيري
أو أنا جئتُ منهُ، في بعض شَكْلي
حُلْتُ دبَّابةً كإحدى اللواتي
جئْن ليلاً يَقلَعْنَ داري وأهلي

* * *

قلتُ: لا بدَّ أن أراهم، تبدّوا
كابن عمي، كزوج أختي، كبعلي
الأسامي طِبْقُ الأسامي: عليٌّ،
ناصرٌ، خَزْعلٌ، سليمان، عَدْلي
كلهم ينطقون (ماكو) كنُطقي
هل غُزاتي أنا، دمي ذوبُ نَصْلي؟

* * *

قيلَ قِدْماً: جارُ العزيزِ عزيزٌ
أيُّ أمرٍ أغرى العزيزَ بذُلِّي؟
في يديه مُدرعاتٌ: لماذا
لا يواري هذي البيوتَ ويُخْلي؟
ربما يَبْتني حواريكَ أرقى
قل: يوشي بقمله حُسْنَ قملي
عنده تُخمةٌ وجوعٌ وعندي
نَسْلُهُ هذه المآسي ونسْلي

* * *

من أرض بلقيس

(١) بلقيس بكسر الباء والقاف: ملكة سبأ زوج سليمان، عليه السلام، و أرض بلقيس كناية عن اليمن.

(٢) السعيدة: كناية عن اليمن، وهي تسمّى من القديم بالعربية السعيدة.

تميمية... تبحث عن بني تميم

(١) يافع: من المناطق الشهيرة بالقات الجيِّد. فضلي: نسبة إلى بني فضل بأنس. وهذا البن أجود الأنواع في اليمن.

(٢) حَوَلِّي: أحد الأحياء الشعبية في الكويت، وقد ورد اسمه في مطلع القصيدة.

قلت: يا جيشَهُ إذا كان وضعي
فاسداً فَلأْثُرْ أنا، لا تَثُرْ لي
أيُّ شعبٍ ينوب عنهُ سواهُ
فهو طيفٌ مِن الزمان المُولِّي
إنْ تُرِد موردي فسلْ هل سيرضى
دجلةٌ غَمْسَ إصبعيهِ بضحْلي[٣]
إنْ لم تكن فارساً فـ(حيفا) تنادي
لا يُسمَّى شجاعةً طحْنُ سهْلي
ألأَنّي جِمامُ كفَّين ترمي
بخضَمِّ الحديد حفنةَ رملي
لا ألاقيك بالقتال فهذا
فوق حجمي، ودون حجمكَ قتلي
(إنما لن أقول للبيت ربٌّ)
أنا بيتي وربُّ بيتي وإبْلي
تملك الآن عجن أمري، ولكن
سوف يُعْييكَ آخرَ الأمرِ أكْلي

***

هل تراني أفحمتُهُ؟ كنتِ أذكى
وَهْوَ أعتى، يعتو فلن تضمحلّي
لم تُذبِّل منك الصواريخ غصناً
لا أمالت هذا القوام الهِرقْلي
كيف تذوي ريحانة من تميمٍ
ذوَّبتْ كلما يُذيبُ ويُصْلي

***

فانحنَتْ كي تشمَّ ريشي وقالت
: أَهْوَ أزجاكَ لي فقلت استدلِّي
تحت ريشي قصيدةٌ لم يقلها
وشذاها يُغْنيكِ عن أن تُفَلّي
ولهذا عرفتُ روضكِ وحدي
مثلُ عرفانِ زنجبيلي ونخلي

***

كمْ أشاعت هذي وذاك: تخلَّى
أو تخلَّتْ، حتى تلاشى التَّخلِّي
إنه الآن مثل نسغ غصوني
مِن قراري يرقى، ويدمى كفلِّي

***

يا مُنَدَّى الجناح أسقيكَ ماذا
جفَّ مائي في نارِ خالي وخِلِّي
قل لمن جئتَ عنه، أو فيكَ وافى
صار كلُّ الكويت زوجي وطفلي
ذات ذاتيَّتي، أُحِسُّك تتلو
وجهه في غموض لحظي وكُحلي

***

كان يُدعى (الشُّوَيخُ) (ودّان) قبلاً
قيل كان المطار بالأمس (ذُهْلي)
ها هنا أوثقوا سُحَيْماً وقالوا:
أيُّ ذُهْليَّةٍ بها أنتَ مَبْلي[٤]؟
قال: عني اذهبوا، ويخطرْنَ دوني
وانظروا أيَّهنَّ تحتزُّ حبلي
سوف تدرون يا أُتاتَ النواجي
هل أنا شغلهنَّ أو هُنَّ شُغلي

***

أين دار (الفرزدق) الآن؟ أمستْ
نصفَ ديوانِ مستشارٍ مَظلِّي
مستشارون عسكريُّون أغبى
يوم غزو البلاد مِن ظِلْفِ بغلِ[٥]
أين كانت قوافي ودفاعي
فجر يوم الخميس؟ كانت تُصلِّي
لا تغالطْ قلْ: كان سُرّاقُ وجهي
في مخابي الهوى يبيعون أصلي
أين كان الذين يشرون عنهم
أحدث الردعاتِ، قل ضاع بذلي؟
كنتُ أقوى إذْ كان سيفي بكفِّي
وعلى ظهر (شَذْقَمٍ) كان رحلي[٦]
كانت الشمس ساعتي وردائي
وقميصي شميم ريحي وبقْلي

***

ألبس النفطُ قامتي غيرَ جلدي
فامتطى الرأسُمالُ رأسي ورجلي
أشتري (لَنْكا) و(دلهي) و(روما)
أين مُلك الرشيد مِن رُبْع دخلي
ويريني النِّفاقُ نُبلي فأنسى
أنني أشتري مِن السوق نُبلي

***

كنتِ تعطين باليدين جُزافاً
ولأمرين رحتُ أُعطي بنعلي
كيف هذا؟ أدوس كلَّ رجاءٍ
وأمنِّي ولا يفي غيرُ مَطْلي
لم أضَعْ في مكانه أيَّ قرشٍ
كان جُودي تآمرياً كبُخْلي

***

قال خوفي: أربح مالي، إذا بي
لِسِمانِ القوى أُسَمِّن عجلي
قل لمن يزعم النقودَ سلاحاً
ولساناً باتت جَباني ونذلي[٧]
فاستباح القريب رَبْعي ولبّى
كلُّ ناءٍ مِن أجله، لا لأجْلي

***

أيَّ الاثنين ـ يا أبا الرِّيش ـ أخشى
الغريب المجيبَ، أم خالَ نجلي؟
هزَّكَ الخوفُ، إنه آدميٌّ
وضمير المُخيف وحشٌ عُتُلِّي
قعَّدي موقفاً مِن الشعب يرقى
وعلى ذا وذاك منه أُطلِّي

***

انتظرني إني أودِّع قشّاً
كان شملي وأنتقي اليوم شملي
أخلع القاتل الذي يرتديني
والقتيلَ الذي ينوءُ بحملي
فليكنْ قاومي، ومُوتي وقومي
واطعَمي كلما يجدُّ ويُبلي
جرِّبي أخطر الحوادث عنفاً
كي تقولي: أجَدْنَ حَدِّي وصَقْلي
وادخلي اليوم مِن غدٍ واستبيني
آخرَ الأمسِ من زمان (الفَطَحْلي)[٨]

***

يا صديقي الهَزارُ سل ذاك عني
كيف أضحى جنونُهُ عقلَ عقلي
قل له: قالت المحبةُ أكسى
بالتعري أعرى بكثر التَّحلِّي

***

خذْ إليه هذي الغصون ـ وقالت ـ
هُنّ بعضي أودعْتُ فيهنَّ كُلِّي
وهنا أُبتُ مثلَ سِرْبِ الصبايا
في ضحى العيد مُنشداً يا (هِزَلّي)[٩]
حسناً كان ذا، فما بعد هذا
كيف أولي الحنين ما ليس تُولي
عن (حَوَلِّي) عرفت ما كدتُ أدري
مَن يريني ما زاد علمي بجهلي؟

صيَّاد البروق

نوفمبر ١٩٧٦

وَحْدي... نعم كالبحرِ وحدي
منِّي ولي، جزري ومدِّي
وحدي وآلافُ الرُّبى
فوقي... وكل الدّهر عنْدي
من جلديَ الخَشَبيِّ أخْرُجُ
تدخلُ الأزمانُ جِلْدِي
مِن لامُنى، آتي، أعودُ
مضيَّعاً قبلي وبعدِي
كحقيبةٍ ملأى ولا تدري
كباب، لا يؤدي
مشروعُ أغنيةٍ، بلا
صوت، كتابٌ غيرُ مُجدي
شيءٌ يُخبِّئُني الدُّجى
في زرع سُرَّتِه ويُبْدي
مَنْ تَشْتَهي... مَنْ أنتَ يا جُنْدي؟
هَلْ أُسمِّي غيرَ جُنْدي؟
حاولتُ مثلكَ مرةً...
أبدُو ذَكيّاً... ضاعَ جُهْدِي
مَنْ أنتَ يا مَجْدي أَفنْدي؟
قال لي: (مَجْدي أَفَنْدِي)
ماذا تُضيفُ إلى الغُروبِ
إذا وصفتَ اللَّونَ وَرْدِي؟
هل أنتَ مِثْلي؟ أكْشِفُ المَكْشُوفَ
حينَ يغيمُ قصْدِي؟
... مثلي ربكتُ ذُرى المشيبِ
وما وصلتُ سفوحَ رُشْدي

***

تميمية... تبحث عن بني تميم

(٣) الضحل: الماء القليل في البئر أو البحر، وقد يستعار صفة للأفكار المنحطة.

(٤) ذُهْل: من القبائل الشهيرة بجودة الأرض وشجاعة الناس.

سُحَيم: هو الشاعر سحيم عبد بني الخسخاس وكانت له علاقة حميمة مع نساء أكثر القبائل، وكان يملك حاسة وصفية لنساء كل قبيلة حتى يصل إلى المناطق المحجوبة.

قيل عنه إنه كان أحظى الرجال عند جميع النساء لأنه على دمامته كان خفيف الظل حسن المعشر. وكان عمر بن الخطاب يستحلي مطلع قصيدته اليائية:

تذكرْ عُميرٌ إن تجهَّزت غازيا
كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فكان عمر يقدّم الإسلام على الشيب فيختل الوزن، فكان يقول: ليت سحيماً قدّم الإسلام على المشيب، ولما لاقاه ذات مرة سأله: لماذا قدّمت الشيب على الإسلام، قال: لأن الشيب أوعظ وأذكر بدنو الأجل فاستصوب عمر هذا.

(٥) ظلف بغل: يقال إنه أغبى أظلاف المواشي بدليل أن الأبقار والأغنام والحمير تحس بأظلافها تململ الزلازل في بطن الأرض قبل انفجارها فيركضن هاربات إلا البغل فإن أظلافه لا تحس الزلزال.

(٦) شَذْقَمْ: من أسماء ذكور الإبل.

(٧) سلاح: إشارة إلى قول الشاعر القديم في النقود:

فهي اللسان لمن أراد فصاحةً
وهي السلاح لمن أراد قتلا

(٨) الفَطَحْلي: حيوان اشتهر في أيام نوح بالبدانة بعد الهزال، وتحكي الأساطير أن الأحجار كانت يوم ذاك رطاباً فأكل منها الفطحلي فطال عمره سبعة أضعاف جنسه لأنه أكل من تلك الأحجار. وإلى هذا أشار رؤبة بن العجاج في امتداح هشام بن عبد الملك.

يا ليتني عمرت عمر السِّحْلِ
أيام نوح زمن الفَطَحْلي

(٩) يا هِزَلّي: هذا هو افتتاح أغنيات صبايا العيد في المدن اليمنية إذ يبدأن بهذا الصوت بالتجاوب:

هِزَلّي يا هِزَلّي   قد قالت عِسَلّي
لابيت البليلي   خذني لا تخلّي

وقد تضاف إلى هذا الافتتاح مقاطع تستحدثها الظروف.

أسرعْ . . . وينجرُّ الطريقُ ،
وينثَني . . . يعمَى ويَهْدِي
قِفْ عندَ حَدِّكَ حيثُ أنتَ
وهلْ هُنا حدٌّ لِحَدِّي؟
كانوا هُنالك يضْحَكُونَ
يُودِّدونَ فمَ التَّعَدِّي
باسمي يُوشُّونَ الخِيانَةَ
يسفَحُونَ دَمي ، بِزنْدي
بي يرفلونَ ليَحْفروا
بيديَّ في فخذيَّ لَحْدي
* * *
فأَمُوت . لكنْ يغتَلي
في كلِّ ذرَّاتي التَّحَدِّي
أهوي بلا كفَّيْن . . ترفعُ
جبهَتي . لِلشَّمس بندي
ماذا؟ وأينَ أنا؟ وأصعَدُ
من قراراتِ التَّردِّي
بعدَ اعتصارِ الكَرم ينشدُكَ
الرحيقُ: بدأتُ عَهْدي
ستصيرُ يا هذا الَّذي
أدعوهُ قبري الآن مهْدي
وأجيءُ من نار البروقِ . . .
يسنبلُ الأشواقَ رَعدي

مُغنِّي الغبار

إلى أينَ؟ هذا بذاكَ اشتَبهْ
ومِنْ أينَ يا آخرَ التجْربَهْ؟
إلى أينَ؟ أضنى الرصيفَ المسيرُ
وأتعَبَتِ الراكبَ المركبهْ
وعن كُلِّ وجهٍ ينوبُ القناعُ
وترنو المرايا كمُستَغْربَهْ
إلى أينَ ، مِنْ أينَ؟ يُدني المَتاهُ
بعيداً ، ويستبعدُ المَقْرُبَهْ
* * *
سؤالٌ يولِّي ، سؤالٌ يُطلُّ
ومِنْ جلدها تهربُ الأجْوبَهْ
ويظما إلى شفتَيْه النّداءُ
وتأتي القناني بلا أشْربَهْ
فتعرى المدينةُ ، تشوي الرياحُ
تقاطيعَ قامتها المُعشبهْ
ويبصقُ في جوفها العابرونَ
وتُرخي على وجهها الأحْجبَهْ
* * *
ويأتي السؤالُ بلا دهشةٍ
ويرتدُّ كالهرَّةِ المُتعَبَهْ
وتصبو القصيدة ، تحنو كأمٍّ
وتهتاجُ كالعانسِ المُغْضَبَهْ
* * *
لماذا يُغَنِّي هَشيمُ الدماءِ؟
وتُصغي لَهُ الرِّيحُ والأتربَهْ؟
هل السَّامعونَ بلا مِسمَعٍ؟
أو أنَّ المُغَنِّي بلا موهِبَهْ؟
هل السِلمُ تبغي أو الانتصارُ؟
سمعتُ الإذاعاتِ والمأدُبَهْ
تغنَّوْا على النَّخبِ حتى الجُنونِ
وماتوا على جُثَّةِ المُطْربَهْ
وهل قُلتَ شيئاً؟ صباحَ الجمالِ
أجابُوا ، سكرتُ بهذي الهِبَهْ
وما رأيكَ الآنَ فيما جرى؟
أُحبُّ الدراميَّةَ المُرعِبَهْ
أما زرتَ شخصيَّةً فذَّةً؟
نعم ، زرتُ قبرَ (أبي مُرهِبَهْ)
* * *
أطالعتَ شيئاً؟ تساوى الحشيشُ
ورائحةُ الحبرِ والمكتبَهْ
تخرَّجتُ قبلَ دخولي ، كشفتُ
بلا كتبٍ رحلتي المُجْدِبَهْ
* * *
قرأتُ المقاهي ، وفي نصفِ عامٍ
أجدتُ البطَالاتِ والثَّعلبَهْ
وغيَّرتُ جلدي مِراراً ،
فمي مراراً ، أضاعتنيَ الأسلبَهْ
وفي القاتِ غبتُ بلا غيبةٍ
تذبذبتُ ، أنهتنيَ الذبذبَهْ
دخلتُ الحواري ، ومنها خرجتُ
بدكتورة الذُّلِّ والمسغَبَهْ
عرفتُ القراراتِ رغمَ السطوحِ
كما تعرف الخنجرَ الأرنبَهْ
قُتِلتَ مراراً فَزدْ مَرَّةً
يُحِسُّوا بأنَّ القتيلَ انْتبَهْ

مدينةُ الغد

صنعاء ٣٠ يونيو سنة ١٩٦٧

من دهورٍ . . . وأنتِ سحرُ العباره
وانتظارُ المُنى وحلمُ الإشاره
كنتِ بنتَ الغيوب دهْراً فنمَّت
عن تجلّيكِ حشرجاتُ الحضاره
وتداعى عصرٌ يموتُ ليحيا
أو ليفنى ، ولا يُحسُّ انتحارَه
جانحاه في منتهى كلِّ نجمٍ
وهواهُ ، في كلِّ سوقٍ: تجاره
باعَ فيه تألُّهُ الأرض دعواه
وباعت فيه الصلاةُ الطَّهاره
أوَما تلمحينَه كيف يَعدو
يطحنُ الريحَ والشَّظايا المُثاره
* * *
نَمَّ عن فجركِ الحنونِ ضجيجٌ
ذاهلٌ يلتظي ويمتصُّ نارَه
عالمٌ كالدَّجاج ، يعلو ويهوي
يلقُطُ الحَبَّ ، مِن بطونِ القذاره
ضيَّعَ القلبَ ، واستحال جذوعاً
ترتدي آدميّةً . . . مستعاره
* * *
كلُّ شيءٍ وشى بميلادكِ الموعودِ
واشتمَّ دفئَه واخضرارَه
بشَّرتْ قريةٌ بلقياكِ أخرى
وحكت عنكِ نجمةٌ لمنَاره
وهذتْ باسمكِ الرؤى فتنادتْ
صَيْحاتُ الديوكِ من كلِّ قاره
ألمدى يستحمُّ في وعدِ عينيْكِ
وينسى في شاطئيْه انتظارَه
وجباه الذُّرى مرايا تجلَّت
من ثُريَّاتِ مقلتَيْكِ شراره
* * *
ذات يوم ، ستُشرقين بلا وعدٍ
تعيدين للهشيم النَّضاره
تزرعين الحنانَ في كلِّ وادٍ
وطريق ، في كُلِّ سوقٍ وحاره
في مدى كلِّ شرفةٍ ، في تمنِّي
كلِّ جارٍ ، وفي هوى كلِّ جاره
في الروابي حتى يعي كلُّ تلٍّ
ضَجرَ الكهفِ واصطبارَ المغاره
* * *
سوف تأتين كالنبوءاتِ ، كالأمطارِ
كالصَّيْف ، كانثيال الغَضاره
تَملئين الوجودَ عدلاً رخيّاً
بعد جورٍ مدجَّجٍ بالحقاره
تحشُدين الصفاءَ في كلِّ لمسٍ
وعلى كلِّ نظرةٍ ، وافتِرارَه
تلمسين المُجندلين فيَعْدون
تُعيدين للبغايا البَكارَه
وتصوغين عالماً تُثمر الكثبانُ فيـ
ـه ، ترفُّ حتى الحجاره
وتعفُّ الذئابُ فيه ، وينسى
جبروتُ السِّلاحِ ، فيهِ المهاره
ألعشايا فيه ، عيونٌ كسالى
واعداتٌ ، والشمُ أشهى حراره
لخطاهُ عبيرُ (نيسان) أو أشذى
لتحديقه ، أجدُّ إناره
ولألحانه ، شفاهٌ صبايا
وعيونٌ ، تخضرُّ فيها الإثاره
أيُّ دنيا ستُبدعين جَناها
وصِباها فوق احتمال العباره؟!

ربيعة الشتاء

مايو - يونيو ١٩٩٠

هذا الذي سمَّيتُه منزلي
كان انتظاراً قبل أن تدخلي
كان سؤالَ القلب عن قلبهِ
يشتاق عن قلبيْه أن تسألي
أن ترجعي مثل الربيع الذي
يغيب في الأعواد كي ينجلي
أن تصبحي مثل نثيث الندى
مثل نجوم الصيف أن تُلْيلي
أن تومئي واعدةً ليلةً
وليلةً تنسين كي تبتلي
كيما تنادي الأرض: أجنيت يا
حدائقي أينعتَ يا سُنْبلي

* * *

أَقَبْلَ سُكْرِ الوعد، قالوا صحت؟
أيُّ هوىً أرغى بها: عجِّلي؟
هذا زمانٌ مذهلٌ ذاهلٌ
عنه فمن حاولت أن تُذهلي؟
ذا جمر صنعا خُفْتُ إذ أحرقوا
فيه (بخور الشيخ) أن تسعلي[1]
أن تصرخي: هل رامني موئلاً
مَن غاب عن حسبانه موئلي

* * *

أظنُّ ما أسرعتِ كي تُدهشي
هل قال داعي القلب أن تُقْبلي؟
أقول ماذا؟ صاح من لا أرى
: عليك من نصفيْكِ أن ترحلي
من مكتب التأجيل قالوا: ثِبي
أُنهي كتابَ الأمس؟ لا، أجِّلي
لا تحملي أيَّ كتابٍ ولا
دواةِ (جيفارا) ولا (الزِّركلي)
رحلتُ مِن ساقي، إلى سُرَّتي
مِن أعْرَضي أعدو إلى أطوَلي
مفاصلي كانت طريقي وما
درْت حصاةٌ أنها مِفْصلي

* * *

أَقْرأتُ كفِّي البرقَ حتّى فمي
قرأتُ كفَّ المشمش الحوملي
هل مرَّ يا ابْني مِن هنا أو هنا
أيُّ جوادٍ جَدُّه (مَوْكَلي)[2]؟
هل خلتَ موّالاً كسرب القطا
يزقو ويدعو: يا ربى موِّلي

* * *

أسمعتُه (الجرّاش) و(القَعْطَبي)
بكى على (بستان) و(الموصلي)
ومدَّ نحوي سلّةً لم يقل
صِلي بها مهواكِ أوْ وصِّلي

* * *

ناديتُ: يا ذا الورد ضمِّخْ يدي
فقال: أهلي قطَّعوا أكْحَلي
وقال (قاعُ الوطْية) استخبري
(عيشانَ) عن قمحي وعن خردلي[3]
ماذا ألاقي يا (بن علوان) قلْ
يا (عيدروسُ) احْمِلْ معي مُثْقِلي[4]
أيّي، أنا؟ بيني وبيني، على
أيِّ الشظايا وجهيَ الجرْولي

* * *

سألتُ ذاتَ الودْعِ ما طالعي؟
أفضتْ بردَّيْن: على ولي
لأيِّ أزواجي جنى عِشرتي
خذي سواهم قبل أن تحملي
جمالُ هذى الحقْبة اسْتنْوَقَتْ
والآن يا إنسانة استرجلي
وغيِّري (يحيى بيفنى) وكي
تُبدِّلي عن جوفكِ استبدلي

* * *

واحتثَّني مُسْتقبلي قبل أن
أعدَّ رمّاني ولا حنظلي
قولي: أيبدو منزلي غير ما
عَهِدْتِه مِن قبل أن تنزلي
تنحنحتْ مثل الخطيب الذي
أنساه شيءٌ صوتَه المحفلي

* * *

كان كوجْر الضبِّ ذا البيت لو
أتيتِ قبلاً خفتُ أن تُجْفلي
والآن مِن بعد التصابي صَبا
وقام بعد العري كي يحتلي
أحضانه امتدت وجدرانُه
سكرى على قاماتها تعتلي
لكل قنديلٍ وكأس صبيً
ولليالي فرحٌ مَشْتلي
وذكرياتٌ ضاحكاتٌ كما
حكى (الخُفْنَجي) عن (علي عَيْطَلي)

* * *

قال (الشبيبي): نجمكِ الثور يا
(قرْنا)، وأبدى شكَّهُ (العَنْدَلي)
قال اجتلي هاءً ودالاً بلا
حاءٍ وواوٍ، فاقطعي، أو صِلي

* * *

يُقالُ أخبرت الشذى أنني
رسولةٌ لم أنتخب مُرْسَلي
فقال: باسمي ضلّلوني وبي
حيناً، وقالوا: باسمهم ضللي

* * *

يبدو لسمعي (هَبَلَيّاً) فهلْ
تحسُّني ألحاظُهُ (المَقْبَلي)
بُولي على جبهته، فادَّني
وقال: شدِّي لحيتي واتفلي
أراكِ غيري آخر المنتهى
بدءاً، ونادى مِن هنا بسملي
قل: أصبح الشطران بي شطرةً
لا بأس في جرحيكِ أن تَرْفُلي

* * *

هل تسمعين الزفَّةَ الآن؟ لا
أصمَّني يا (دانُ يا بَلْبلي)
تسعون طبّالاً وطبّالةً
شهراً وقالوا: مثلُهم طبِّلي

* * *

هناك من يأبى: أقيلَ انظمي
للكل داراً، أم بها كبِّلي؟
أأنتِ مَن غنّيتُ: جودي لنا
بالوصل، هل أبكي لكي تبخلي؟
ومَن ينادي كالشعاع اهبطي
ومَن يفادي عن هنا حوِّلي؟
ومَن يرى فرديَّة الجمع في
كفيكِ عهداً نصفَ مُتَوَكِّلي؟
وقائل كم قيل ما دلّلوا
عنها، ولا قالوا لها دلِّلي
عشرين عاما: سوف تأتي غداً
ما اسم الذي كان بها مُختلي؟
وسائل: ماذا سيجري؟ لمن
جاءت، أيا خضراء لا تأْمُلي
فما أفادتْ علم شيءٍ سوى
ما ينبغي – يا أمُّ – أن تجهلي
صوغي على كفيك أخرى تريْ
صباكِ في مجلى صباها الجلي
هل ذاك – يا أولى – الذي يحتفي
إذ جئتِ يخشى الآن أن تأفُلي؟

* * *

هناك مَن يسلوكِ مَن يجتوي
هنا الذي يدعوكِ يا معقلي
ويفرش الخدَّيْن كي تخطري
ويملأ الكأسيْن كي تَثْمَلي
كي تحلمي حلم النواسي، صحا
مِن سكرة (الكرْخي) بقُطْرُبُّلي

* * *

وواقف يفديك فهّامةً
ترقين مثل الشمس كي تعدلي
يجلو بعينيك الرؤى تالياً
نصف كتابٍ كلُّهُ ما تُلي
مُعوِّذاً كفيكِ أن تأخذي
وُرَيْقةً مِن قبل أن تبذلي

* * *

وقالت الربْوات: أعطي فمي
ثدييكِ أربو قبل أن توغلي
وقالت الأزهار: لا تعبري
فوقي فيلهو الشوك في مقتلي

* * *

ربيعة الشتاء

١) بخور الشيخ: نسبة إلى حي الشيخ عثمان من منطقة عدن.

(٢) موكلي: نسبة إلى منطقة موكل الشهيرة بأصالة الخيول، وإلى هذا نوّه البحتري في أصالة جواده حيث قال:

وافي الضلوع يشد عقد حزامه
يوم اللقاء على مُعمٍّ مُخْوِلِ
أخواله للرستمين بفارس
وجدودُه للتُّبّعين بموْكلِ

(٣) قاع الوطْيه: أكبر سهل زراعي بين مدينة ذمار وقرية عيشان.

(٤) ابن علوان: أشهر أولياء شمال اليمن بالكرامات في المعتقد الشعبي، والعيدروس أشهر أولياء الجنوب بالكرامات إلى حد التأليه.

وللمقاهي عنك صوتٌ لهُ
أيدٍ، وصوتٌ فاقع بُلْبُلي
وصائح يدعوك أن تقفزي
وهامس يوصيك أن تكسلي
محاذراً أن تأكلي الجمر عن
أنياب مقتاديك أو تُؤكلي
تدرين؟ كم قالوا ولم يفعلوا
قولي: تنحَّوا جانباً وافعلي

* * *

يرتاب هذا الحيُّ أن تنجزي
يودُّ ذاك الربع أن تَمْطلي
ذا يرتئي: تلك التي أهجعت
قلاقلي ما أقلقت عُذَّلي
أشمهما مائدتي سائلاً:
متى انتهى مِن طبخها مرجلي؟

* * *

وقال شادٍ: ما شدت مثلها
أسمار أعراسي ولا مَقْيَلي
أنسى الدجى والصبحَ وقْتيهُما
صوتان: عَوْديٌّ يلي كُعْدُلي
كيف التقى نصفي بنصفي ضحىً
في نضج مكرِ العصرِ يا مأْملي

* * *

وقال مضن يا العقيم التي
شاءت مواني (هِنْتُ) أن تحبلي
يا بنتَ أمٍّ (الضَّمْدِ) قولي لنا
: أيُّ عليٍّ سوف يخصي علي
قولي لماذا كنتِ أمثولةً
سحريَّةً مِن قبل أن تَمْثُلي

* * *

فقال هَجْسُ الأرض: منّي رقتْ
تعيد تشكيلي، ألا شكِّلي
مِن بعضها انصبَّتْ إلى كلِّها
أكلُّ وادٍ قال ذي منهلي
شغلت أعراق الثواني فهلْ
يرضي سُهيْلاً عنه أن تُشْغَلي؟
في طعم ريق القات تَحْمَيْنَ، عن
ما قال تُفشين الصّدى المخملي
تسرين في الكاذي فتدنين من
عينيه وجه البارق الأحول
تَنْدِيْنَ في (يا ظبي صنعا) هوىً
تَشْجِيْنَ في أنفاس (يا صيدلي)
في الحبر تحمرِّين أنشودةً
في الكأس تبيضِّين كي تُشْعِلي
في الجمع تذكين الجدال الذي
يمَيِّز الأبقى مِن المرحلي

* * *

هل أنتِ مَن تُحْيينَ كي تَعْظُمي
أو أنتِ مَن تُحْيينَ كي تَقْتُلي؟
هل خاتمي قانٍ؟ ألي خاتمٌ
يكفي يدي أن سَلِمتْ أنملي؟
يا صاحب الصاروخ قلبي على
كفّي كتابٌ خلفهُ منجلي

* * *

لا بدَّ مِن أن تُنْبِهي خاملاً
وكي يُرى لا بدَّ أن تُخْمِلي
لا بدَّ من أن تحتفي بالتي
وبالذي لا بد أن تَحْفُلي
مَن ذا سيعطيكِ لتعطي ومَن
قال خذي، قال الحسي مِغْسَلي
ما دام ذاتُ الأمر مأمورةً
به، دعيه قبل أن تُعْزَلي
ـ مني ابتدا نهجي، ألا فليكنْ
صعباً ولا يخشاكِ أن تَسْهُلي

* * *

يا طلعةً ما أذبلتْ مطلعاً
تقدَّمي هيهات أن تذبلي
ويا ربيعاً شقّ عمر الشِّتا
تهدَّلي للصيف واخْضَوْضلي
إن زيَّن الإكليلُ مَن قبْلَهُ
فكلِّلي مَن بعده كلِّلي

* * *

مذ جئتِ جاء البدءُ مِن بدئهِ
وعاد مِن آخره أوَّلي
واجتاز ومضاً كان مُسْتدفئاً
به إلى الوهْج الذي يصطلي

* * *

فأنكر التأريخُ تأريخهُ
لمَّا استبان الأمسُ مستقبَلي
: لا رأْسماليّاً أرى ذا الفتى
ولا اشتراكياً ولا هيجلي
لا في (بني عبد المَدان) اسمهُ
لا مِن (بني باذان) لا (عَبْهلي)
وعنده زائرة مثلهُ . .
تزف عنِّيناً إلى (المُشْكِلِ)

* * *

ردِّي على التأريخ يابنْتَهُ
لا تخجلي يؤذيهِ أن تخجلي
قالوا: إلى نصف الطريق التقوْا
سجِّل بلا حيفٍ وقلْ: حلِّلي
زادوا على رأسي رؤوساً فهلْ
تزيدني رِجْلاً إلى أرجلي
ضع نصفيَ الأعلى على الركن أو
حوِّل أعالي قامتي أسفلي
ما اقتاد تغييرٌ خطاي التي
صيَّرنَ ما لا ينطلي ينطلي

* * *

وأنت يا هذا؟ يقال الذي
سوف يلي يومي أبى أن يلي
لا هذه (سَيَّان) لا غيرها
لا (العبدلي) ثانٍ ولا العبدلي
مَن غيَّرَ التشكيلَ عن شكلهِ؟
قوّى على (الصِّلْوي) يَدَ (المِقْوَلي)

* * *

فاستضحكت قائلةً: أيُّنا
أراد هذا، قلتُ لا رأي لي
أمّا أنا ما جئت كهفي أنا
وأنتِ كهفٌ بالمنى تغتلي
تهوى سعاداً، ليديا، غادةً
وأختَ (هنري) وابنة العوذلي
ـ كان ابن جدي زوجَ عشر إلى
أن طلَّقتْهُ (هَيْدبُ الحوْقلي)

* * *

تبغي وتخشى نصف ما تبتغي
فتنثني مثل الشَّجيِّ الخلي
ترجو وليّاً نائياً خيرةً
فاختار لقيانا مزارُ الولي

* * *

تمثال هذا هيكلي، أنتَ بي
كصورة فيما اسمه هيكلي
أعطاكِ طنبوراً، أنا مصحفاً
فاعزفْ، ويا أمِّيَّتي رتِّلي

* * *

عزفتُ غازلت التي والتي
حتى أتتْ مَن كسَّرت مِغزلي
فالتمَّ بحر القلب في كفِّها
كوباً بنهديْ كرمةٍ يمتلي

* * *

إلى رضاعي جئتِ مني ومِنْ
تَخَرُّجي فيكِ ابتدا مدخلي
كي يرتدي عينيك معنى الضحى
كي تبتدي الأنهار من جدولي

* * *

أما تساقينا البروقَ، المدى
وآنَ أنْ أغلي وأنْ تهطلي
أن ينشر (المهديُّ) منك اللوا
أو يركض (الدجّال) من منزلي